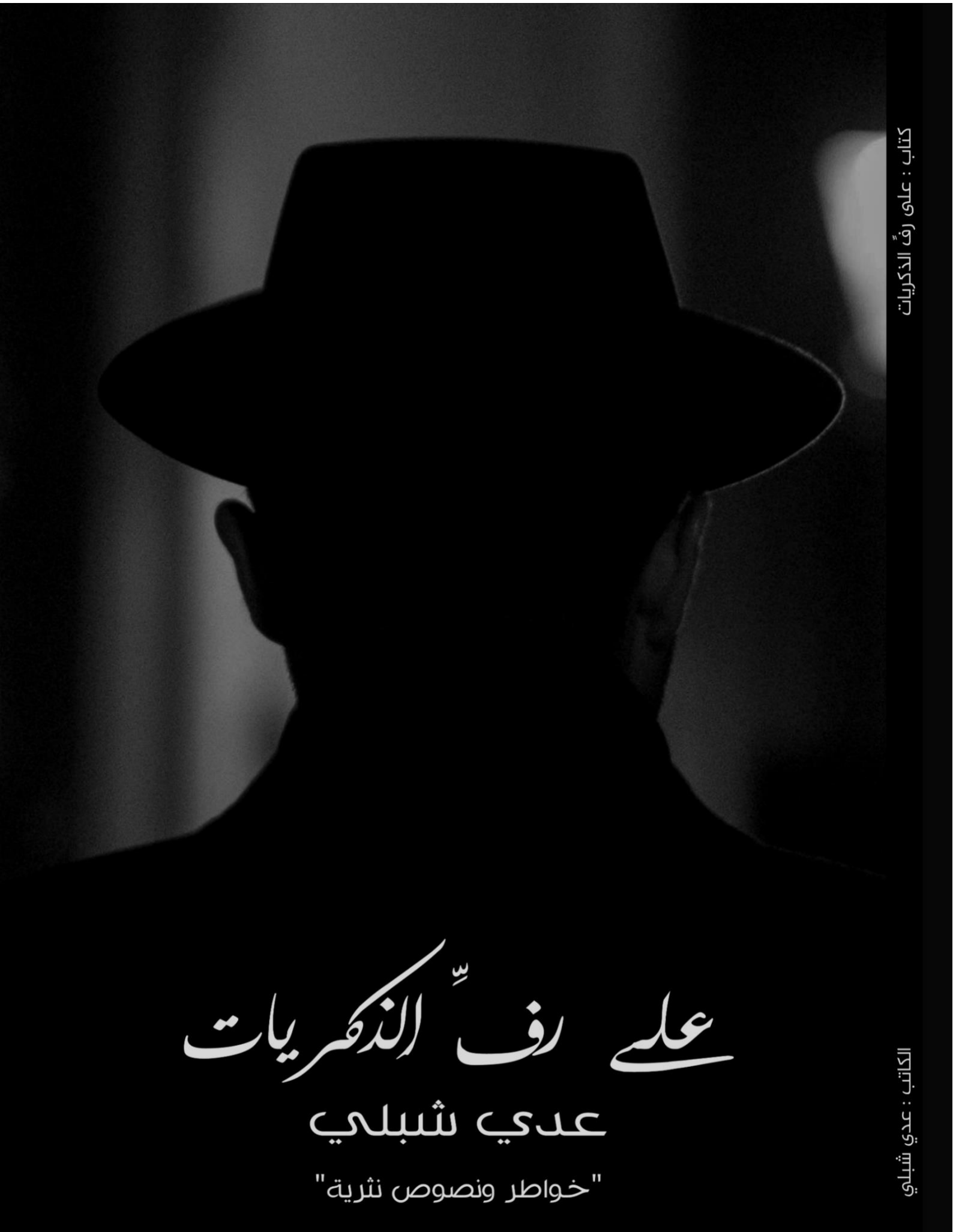
كتاب : على رفِّ الذكريات
على رفِّ الذكريات
عدي شبلي
"خواطر ونصوص نثرية"
الكاتب : عدي شبلي

على رف الذكريات

تصميم الغلاف : حسين بطال
المدقق الإملائي : الاستاذ أحمد الأحمد
تم هذا العمل بالتعاون والتنسيق مع مبادرة دعم المواهب الشابة

الإهداء:

إلى الفتاة التي سكنت روحي وملأت زواياها بطمأنينة العشق، نعم!، إلى عينيكِ يا هبة الله.

إلى أبي الذي كتب لي كل مواضيع التعبير، إلى أمي التي لا تجيد القراءة، إلى القارئ الذي سيقرأ بقلبه لا بعينيه.

إن أتعبني الطريق يوماً
يسيرُ قلبي على مقلتيه إليك

اللاشيء

في الحياة هنالكَ دائماً نسمات من شيء ما، من شعور ما، من تفصيل ما، من ذكرى ما، هذه النسمة هي التي تشكّلنا وتغيرنا كيفما هبَّت.

حينما تكون محمّلةً بالحب نصبح عشاقًا دون إذنٍ منّا، سنرى الكون تلخص في عيون أحدّهم والقصائد تنسال على شفاهِهِ كشلالٍ من الكلمات ..

وفي حين آخر ستأتيكَ محمّلةً بالفراق، ستفارق وتفارق حتى نفسكَ ستفارقها ولن يدعَكَ الفراق ويمضي في طريقه حتى يبرحكَ ضرباً.

ستحمل لكَ الكثير من الحنين الذي سيرتطم بقلبكَ الذي ظننته من فولاذ ولكن سرعان ما سيخيب ظنّكَ وتخسر وتضعف حتى تستسلم وترمي نفسكَ بين يديّ البكاء.

ستحمل لك الفرح بين ثناياها، ستحمل الأحلام والخيبات، الأمل والانكسار، الجوع والشبع، الضحك والوجع، ستحمل ما تشتهي القلوب وما تكره.

طول تلك السنين التي عايشتها هكذا كانت الحياة، من نسمة إلى نسمة ومن شعور إلى شعور، أحببتُ وفارقت، ضحكتُ وانكسرت، حلمتُ وتحطمت، لكن شيئاً ما حصل فجأةً ولم أعد أفهم أيّ شيء، لا أستلذ بشيء كأنني تحولتُ لكتلةٍ صمّاء!.
كانت الرياح قوية في الأمس ولم تكن نسمة ما أبداً، يبدو أنّها أطفأتني وهذا التفسير الوحيد لِما يحدث، لا أعلم إن كان جميلاً أن أشعر باللاشيء تجاه أي شيء.

****

مَن منكم جرَّبَ أن يموت؟!
مَن منكم ذاق طعمه ثم عاد إلى الحياة؟!
أنا في كلّ ليلةٍ أموت وأحيا، هذا الموت يقص لساني ويقتلع حنجرتي بأظافره الطويلة، فأموت بصمت دون أن يعلم أحدّ بما حصل لكن وحدها حبيبتي تشعرُ بي، تمدُّ يديها من خلف المدى تطبطبُ على جروحي فأنهضُ رغمَ تفتت عظامي، لا أعلم كيف لها أن تحيي الموتى.

****

لا خريف يصيبُني، عيناكِ هنا
نظرةٌ فنظرة تنطوي الأيام ويرقصُ فوقها الربيع.

****

لا تقتربي من الورود كثيراً
أخاف أن يشتدَّ جنونها وغيرتها فتخطفكِ!.

دمشق

مطر مطر مطر
شوقٌ على قلبي انهمر
شيءٌ ما حصلَ داخلي
شيء في قلبي انكسر
ذكريات هنا وهناك
قبلةٌ على الخدّ تسرقني
وابتسامة مني تأخذني
قصصٌ وحكايات
ويلاه ما أكثر الذكريات
ويلاه ما أقسى المطر
دمشقُ من قبل قالت
خذ جوازكَ والحق السفر
لم تبكني ..لم تودعني
لفظتني خارجَ أحضانها
إلى آخر المدى
أصرخُ ويتردد الصدى
البرد يا حبيبتي
البرد يا حبيبتي
لا أحدّ يسمعني
ويتردد الصدى
على رصيف الحياة
أقف حاملاً معي حقيبتي
أصرخ بأعلى صوتي
أعيدوني لبيتي
أعيدوني
قبل أن يغتالني المطر

مطر مطر مطر

بالله يا دمشقُ من فينا قضى الوطر

ولدتُ بكِ وكبرتُ بكِ
أحببتُ بكِ وفارقتُ بكِ
زرعتُ قصائدي في أرضكِ
علَّني أقطفُ منها ثمر
مطر
ولا أعلم كيف أمسكُ قلبي
يكادُ يخرجُ من فمي
آهٍ منه لقد انفطر.

****

منذ سنين اشتريتُ عصفوراً صغيراً وبدأتُ أهتمُّ به، أطعمه وأقدّم له كل شيء، كبر كثيراً ولم أسمع صوته إطلاقاً، لطالما ظننته أبكماً، اليوم ذكرتُ اسمكِ يا حبيبتي أمامه، راح ينسج منه لحناً موسيقياً أحلى وأجمل مما صنع "موزارت" طول حياته.

****

الأرق يغزو رأسي كأنّه جيش بربري، يمشي ويسبب ضجة في شوارع عقلي، يحرق ويكسر كل ما بطريقه، يقتل ويسفك دماء أفكاري، مستفز هذا الأرق ..ينظر إليّ بعد كل الذي فعله بي ويبتسم!.

****

رزقتُ الكتابة منذ صغري أو ربما بليتُ بها، لا أحد يعلم!
لكن بعد كل قصيدة كنتُ أكتبها، كانت الصورة التي أتخيلها وأرسمها لفتاة أحلامي تزداد جمالاً، قصيدة فقصيدة وفي تمام المئة اكتملت تلك الصورة داخل رأسي، حينما التقينا عرفتُ أنني كنتُ أرسمكِ دون أن أعلم .. فأحببتكِ!.

****

الحب

ما هو الحبّ يا تُرى؟!
أسألُ أبي عند الصباح فيقول لي أنّ الحب هو ذاك الذي يبقي على قلبكَ شابًا رغم الشيب الذي يغطي رأسك، الحب هو يد ناعمة تداعب القلب الحزين حتى يضحك!.

أسأل أمّي عن الحب فتخبرني أنّه ابتسامات أطفالها من حولها وتكاتفهم إلى بعضهم البعض، الحبّ هو العائلة!.

يخبرني أخي أنّ الحب شيء جميل، بعيدعن كل شيء، الحب روح أخرى تمتزج بروحكَ فيبدو لكَ الكون مختلف.

يقول صديقي عن الحب: عندما يغرق الشخص في حزنه وتغلق كل الأبواب بوجهه سيبقى الحب ينتظرك لتطرق بابه وتخلد الليل الحزين في حضنه ناسيا ما جرى.

تقول عجوز في أواخر عمرها: الحب يرتسم على الوجوه فيزيدها جمالاً، مذ خسرتُ الحب خسرتُ شبابي، بات وجهي مجعّداً متهالكاً، لا أجمل من الطفولة إلّا الشباب ولا أجمل منهما إلّا الحب.

أسأل كل مَن ألتقيه في الشارع، في مكان عملي، في كل مكان، كلّ واحد منهم كان يعني له الحب شيئاً ما، كلّهم حدثونني عن الحب.
وعندما جلستُ بمفردي وسألتُ نفسي : ما الحب؟
تلعثمت ولم أعرف ماذا حصل، قلتُ الحب هو أنتِ يا حبيبتي فقط لأنني أحبّكِ بكلّ الذي ذكروه، لأنّك تعنين لي كل شيء، لأنني أحبكِ أضعاف ما ينص المنطق، أحبكِ أكثر مما تتوقعين ومما أتوقع، أحبكِ حدّ الموتِ وأكثر يا حباً من نسل المعجزات.

****

عنكبوت الفراق نسج بيته بين أصابعي وبسبب فوبيا الحشرات التي أملكها، لقد قمتُ بقطع كلّ أصابعي بالغلط، لا أعلم كيف ستتشابك أيدينا من جديد!.

****

حتى وإن بدوتُ لكِ ذات يوم أنني شخص كاذب، ثقي واعلمي أنني أحببتكِ بكلّ ما أملكُ من كذب.

****

فقر وجوع، قهر ودموع، رعب وخوف وفاجعات، موت ينتشر بيننا، يستشري الهلاك بيننا، كأننا لسنا سوى أظافر هذا الكوكب اللعين!
تقلّمنا الحياة بعد أن تستحم كل عام.

قبلة مشوّهة

لطالما كانت الصورة الانطباعية للزواج داخل رأسي عندما كنتُ صغيراً هي رجل يعمل ليل نهار وامرأة تطبخ ليل نهار وأطفال دون رعاية، وإن أغلب العلاقات الزوجية ستكون مثل علاقة جارتنا التي يضربها زوجها كلما أخذَت شهيقاً.
أن تظهر بقعة حمراء على عنقها كل يوم وتكاد لا تفرقها أهي قبلة حميمية يا تُرى أم ندبة أثَّرها تعنيف ما!.
أن تُضرَب المرأة لأنَّ العشاء قد تأخرَ هذه المرة الأولى التي أرى بها امرأةً تُضرَب!

لا يمكنني التكلم عن جارنا لأن مجرد الحديث عن هكذا شخص غلطة لا أريد الوقوع بها، وما أكثرهم في مجتمعنا، لكنني أنتقد زوجته التي تحيا معه وراضيةٌ بكلّ هذا، لا أعلم كيف لها أن تبلل وسادتها بالدموع وتستيقظ صباحاً لتبتسم بوجهه مشرقة كالشمس!
أيّ شيء قد يجبرها أن تموت في كل ليلةٍ ألف مرة وأيّ حياة هذه التي تقنع نفسها بها؟!
فما الذي يمنع امرأة من أن تكون ثورة لا تنام على ظلم، تحرق الدنيا إن أرادت وتقف على قدميها كأنها رواسٍ فلا تميد الأرض تحتها أبداً!
لا أظنّ أنه يوجد شيء ما، لاشيء إطلاقاً فالمرأة تولد حرة ولكن حينما تعيش في مجتمعنا الشرقي تألَف الظلم!
في ذلك أقسمت أنني لن أفكر في الزواج ولن أتزوج خوفاً من أن أظلم أنثى بكلمة غير لطيفة!

كبرت وعرفت الزواج الحقيقي ولذلك سأذهب اليوم إلى الشيخ ليعلمني كيف أكفّرَ عن قسمي وبعدَ ذلك أجيء إليكِ ليتمَ عقد قراننا، الذي سيكون مقدمه ألف قصيدة ونبع من الحب و وعد بأن أحافظ على ابتسامتكِ مشرقةً وأمنع الغبار أن يبني بيتاً عليها، ثم لن يكون هنالكَ مؤخراً لأن حبّنا مدى الحياة.

****

يستوقفني الأشخاص الذين تعلَّقوا بشبيهٍ للحب وسقطوا ضمن مخالب المشاعر المزيّفة ثم شتموه وقالو لاحقاً: لا وجود للحب، إنّه مجرد كذبة لا أكثر.
الأمر الذي وقعت به يا صديقي أشبه بأن تعيش في سوريا ثم تقول بئس الحياة، لا أعلم كيف تشتم شيئاً لم تجربه!.

****

في البداية سيبدو شكلها مرعباً مخيفاً، ستجزع منها، سيحاصركَ خوفك ويكبّلُ جناحيك، اكبت خوفكَ واركل باب دنياكَ بقوة أيها العصفور، هذه الصعوبات ليست سوى فزّاعة.

****

الأيام تتكرر وتعيد نفسها بطريقةٍ مملة، عدد ذرات الأكسجين في الهواء ذاته منذ شهور، وهنالكَ في صدر السماء غيمةٌ وحيدةٌ بائسةٌ، وعلى الأرض قذارة البشر ذاتها، لم يتغيّر بها شيء، مذاق القهوة لم يختلف رغم أنني جرّبتُ عدّة أنواع في الآونة الأخيرة!، لاشيء هنا يتغير سوى حبكِ، إنني أحبّكِ في الثانية ألفَ مرّة، سامحيني على جنوني المطلق هذا!.

عذراً فيروز

في وطننا نشرب القهوة على صوت الصواريخ والرصاص، حتى اعتدنا ذلك وأصبحنا ندمن على كبسولة الانفجارات التي نتعاطاها بين الحين والآخر، نعتذر كثيراً يا فيروز!.

في وطننا اعتدنا الخوف والألم من كبيرنا إلى صغيرنا، في كلّ يوم نشيّعُ بعضاً منّا وندفن آخراً، لم نعد نخاف لون الدماء، لم يعد يخيفنا الموت لكن نخاف رؤية ابتسامة ما، نخاف من فرحة صغيرة تذكرّنا بما نحن فيه!

في وطننا لا أحد يشتري الكلاب والقطط، لا أحدّ يهتم بتربيتهم، فالفقير يفترش الشارع مع القطط الجائعة، ولو أنه قرر فعل الخير فعلاً لكان أطعمَ فقيراً لا قطاً!

في وطننا لن نشاهد مسلسل "لاكاسا دي بابل" فلا يوجد قصة نهب احترافية كالتي نعيشها، حكومات تسرقنا في العراء لا الخفاء ثمّ نقبّل أيديهم ونمجدهم!

نحن الجرحى في فم القصيدة، نحن الرصاصة العالقة في الهواء، نحن الغرباء
نعم !
في وطننا الكبير هذا، للأسف نحتاج وطن.

****

هنالك ثلاث شامات على عنقك، هنَّ أشبه ببوابات أعبر من خلالها إلى حياة أُخرى، فكلما كنتُ أحزَن أستدلُّ بشامة ما لتصلني إلى شفاهكِ، فإذ قبّلتكِ أنسى نفسي وأصبح في كون آخر، ربما بين الجنائن.

****

بينما العالم يتقاتل من أجل النفط وثروات الكوكب، أفكّر بكِ يا ثروتي، أفكّرُ بأن أصنع حرباً عالميةً ثالثة من أجلكِ إن لزم الأمر، فأنتِ الشيء الأغلى والأثمن وأنتِ من يستحق التضحية من أجله، فلا كنزٌ على وجه الأرض يعادل ابتسامة صغيرة ترتسمُ على طرفِ شفتيكِ.

****

لاشيء يعادل أن يستيقظ المرء على صوت مَن يحب أو على صورته، ذلك الشعور الذي يطمئن القلوب، يربت عليها ويمسح عل وجهها نوراً عند كل صباح، ذلك الشعور الذي ينقصني في غربتي عنكِ يا حبيبتي وهذا النقص الذي يجعلني أتجرّع علقم الأيام كؤوساً وكؤوساً.

اتّفاق!

دعينا نتفق قليلاً!
لن تكوني كباقي النساء اللواتي يغضبنَ من أزواجهن إن لم يغازلوا لهنَّ الطعام، ستتقبلين نقدي على ما تطبخين وأنا سأتقبل كلماتك عندما أكسر الصحون في المطبخ!.
أنا منذ خلقت أنقد الطعام رغم عدم وجود أي ملاحظة عليه، هذه من أحدّ السلبيات التي أملكها، أيضاً أنا معروفٌ للجميع بالنكد الذي أملكه، من الآن عليكِ أن تعرفي أنني الشخص الأكثر نكداً وحساسيةً في العالم، تُبكيني كلمة صغيرة ويفرحني حرف واحد.
دعينا نتفق قليلاً!
سأتقبّل عصبيتكِ المبالغ بها وتذمّركِ الدائم، بل سأعشق ذلك!
فأنا أعشق سلبياتك كلها قبل محاسنكِ التي لا تعدُّ ولا تحصى، ستتحملين قربي منكِ فقد تجدينني في أحضانكِ خمساً وعشرين ساعة في اليوم الواحد، ستتحملين اهتمامي الكبير وغيرتي التي لا حدّ لها!
حتى أحياناً أغار من يدكِ إن لامست شفاهك، وأغار من شالكِ الذي يضمُ خصل شعركِ التي تشبه أمواج البحر ولكن بلونٍ يفوق الأزرق سحراً وسطوة على القلوب، ستتحملين طفوليتي هذه، أنا لا أعلم كيف لي أن أكون مع الناس ذلك الشخص الجدّي الذي يعقد حاجبيه دائماً ولكن معكِ أكون طفلاً صغيراً لا يستطيع أنا يفارق حضنَ أمّه.
دعينا نتفق قليلاً!
ستمسكين بيدي مرّة واحدة وسأمسك بكِ طول العمر، تحزنني تلك الدمعة التي تسقط من عينيكِ الجميلتين ويسعدني أن أجبر كسورك، يسعدني أن آخذ كل أحزانك لأضعها في قلبي إلى الممات وأدفنها معي لئلا تعود لكِ مرّة أخرى، سنكون ملجأ يحتمي به أحدّنا من شظايا الحياة التي لا ترحم أبداً!.
ثم دعينا نتّفق ألّا ننسى شيئاً اتّفقنا عليه.

****

ثمة شخص ينسيكَ كل شيء، ينسيكَ أن تخاف الحب رغم وقوفكَ على الحافّة، كأن تتغير تفاصيل حياتكَ التعيسة بابتسامة، كأن تراقصكَ الحروف وتتوه في قصيدتكَ الليلية ناسياً ما تركت وراءك من كلمات، وتمضي بقلبكَ حافياً إلى هذا الحبّ، تمضي إليه دون عودة.

****

عندما يمر اسم الوطن من أمامكَ، لا تعلم حينها ماذا ستفعل، يختلط عليكَ كل شيء، حتى مشاعركَ التي تعرفها تفلتُ من قبضتك، لا تعلم أتصرخ من الشوق أم تبصق!
ساعات من الشرود ستسيطر عليك، حاول أن تستغلها واستجمع كل ما تستطيع من اللعاب، صدّقني أنت تحتاج منه الكثير.

****

كأن تشرب قطرة مياه واحدة عوضاً عن البحيرة الكاملة التي كنتَ تشربها ولا تروي شيئاً من عطشك، هكذا يكون حالكَ كعاشق سُرِقَ من فمه رغيف الواقع، فبات فؤاده جائعاً لا يكفيه فتات الأحلام.

مفاهيم ضائعة

الوطن: هنالك وطنين لكل واحد منا
الوطن الأول هو تلك الأكذوبة التي نرضعها من ثدي أمهاتنا ونصدقها حتى نموت من أجل وهم لا وجود له ولا كينونة!.
أما الوطن الثاني فهو بعيد كل البعد عن الأرض، هو كوكب من المعاني والمشاعر، هو حضنُ من تحب، ويده التي ستلهو بشعر رأسكَ حتى تنام مطمئناً، قطعة حلوى تذوب في قلبكَ البائس فيحلو، الوطن هو الذي يرفعنا ويطبطب على جراحنا برفق كحنان الأم على أبنائها.

الموت: التفصيل الصغير الأخير المتبقي في اللوحة التي رسمتها على مدار سنين طويلة، فاعلم كيف ستضعه وأين! فإن تعثرت بهذا الاختيار ستخسر كل شيء، كالبقرة التي تحلب مئة سطل وتكبّه حينما تنتهي.

الخوف: عود الثقاب الذي سيسقط في كومة القش المتوضعة في قلبكَ، تعلّم وعود نفسك على الوقوف في الحالات الطارئة كلما ارتبكت وتبعثرت نفخت على النار أكثر، جاهد نفسك بنفسك والكرة لطالما كانت وستكون في ملعبك أنت!

القمح: أرواح الناس الذين أكلهم الجوع، توضعت على شكل سنابل!

السماء: مرآة الروح، وكل شخص منا يرى انعكاس روحه بها، هنالك من يراها غائمة بعض الشيء وهنالك من يراها صافية نقية، أما من يراها سوداء فإنه يخدع نفسه بنفسه ويعمر لنفسه بيت خشب على نيران ستوقد بعد حين.

كوكب الأرض: لا يهمني إن كان كروياً أم مسطحاً فما هو إلا الأوساخ العالقة تحت أظافر المجرة.

الخلود: أن تنظر بعيني من تحب، وتشعر حينها أنكَّ بعيد عن هذا الكون وصخبه، تشعر كأنكَ خفيف الظل خالٍ من الذنوب جميعها، كأنك ملاك يطوف حول عرش الرحمن.

الحرب: معادلة لوغاريتمية ناتجها سلبي دائماً، كل الأطراف خاسرة ياولدي، ولكن من يدفع الثمن الأكبر هو الشعب الأعزل.

السياسة: لعبة من ليس لديه شرف، لذلك لا ولن ترى سياسيًا يقول الحق، فهم يبيعون شرفهم في صناديق الاقتراع.

الليل: الغطاء الذي نخفي به ما لانريد إظهاره، فهو المخبأ السري المكشوف للجميع.

النهار: قبلة الشمس على جبين الأرض المنهكة من آثام البشر!

الحب: نحن نعلم بذلك الصراط الذي سنمشي عليه يوم الحساب، فإما الجنة وإما الجحيم، لكن الحب أن نمزج الجنة بالجحيم والنار بالماء، ونجعل الكون مختلفاً عما كان في السابق.

الطفولة: لحظة جميلة قصيرة ستقضيها على عجل، وستبقى تراود ذاكرتك إلى الممات، قطعة الحلوى التي ستهديكَ إياها الحياة قبل أن تسقط ببحر من العلقم.

المطر: دموع الأبرياء والفقراء التي تتجمع في السماء، رصاص الحنين الذي يفتك بأرواح العاشقين.

الفراق: ضرائب السعادة المتراكمة التي ترفهت بها أثناء قربكَ ممن تحب، تتراكم مع كل ابتسامة تطلقها بالفراغ ثم تصبح سكيناً ستنغرزُ بخاصرتك في الوقت المناسب لقتلك!.

العيون: أبجدية دون كلمات، أبجدية عريقة لا يفهمها سوى العشاق.

****

العمر مثل نجم الصباح يظهر ويختفي بسرعة فائقة، تقضيه بطرفة عين، فلا تفتح فمكَ متعجباً وتقل كيف ذهب!،
اعمل على نفسكَ واتعب ..اللحظة الواحدة لو تستغلها بالشكل المناسب صدقني ستصبح دهراً، لا تسمح للفراق أن يكون أول السارقين.

****

يا حظ السطور التي تحملكِ بينها، تلك الكلمات التي تنساب بين خصلات شعرك، تقبل وجنتيكِ وتغمض عينيكِ رويداً رويداً، يا سوء حظ كاتبها، أشتاقكِ كثيراً فأحاول كتابتكِ، وعندما أنتهي من القصيدة أغار، فأمزقها، غيور أنا يا مليكتي.

****

عندما أحببتكِ ..
عطلتُ فرامل المركبة ومضيت بكل سرعتي، لا توقف على طريق عشقكِ، لا توقف حتى الوصول اإليكِ، يا حلماً يباغت نومي ويقظتي.

المقهى

"المقهى"
فنجان قهوة
وطاولة قديمة
كرسي خشبي
ونحن!
أهمسُ لكِ "أحبك"
تضعين سبابتك على شفتيّ
وتقولين: رجاءً ..
لاتقولها في هذه الأثناء
أنا أشرب قهوتي سادة!
ثم تقتربين مني أكثر
وتهمسين لي : مذ عرفتك
لم أتذوق قهوتي كما أحب.

فنجان قهوة
وطاولة قديمة
و وردة جورية حمراء
وعطركِ يغطيني
في الأمس هذا ماحدث
لقد تذوقنا كل سبل الحب
ولأنكِ تشربين قهوتك سادة
طلبته خال من الحزن
خال من كل أنواع الفراق

****

منذ أن بُنيَ "جسر الرئيس"، ودمشق بحجمها الكبير وبياسمينها وحاراتها وتاريخها .. دمشق كأنّها عبرت إلى غياهب الظلام، ولم يبقى من دمشق سوى اسمها كجذع شجرة أكل قلبها الدود.

****

هذا العالم ذئب متوحش يصرخُ جوعاً، وأنا منذ خلقت ألوّحُ له وأخبره أنَّ قلبي ليس "ليلى"، لكن أبى أن يسمعني، أصمَّ أذنيه وقام بالتهامه.

****

أحببتُ امرأة نصفٌ منها قمحٌ ونصف سكّر، كلّما شعرتُ بالجوع كانت تخبز لي من وجهها قطعة حلوى على هيئة ابتسامة.

ذات غربة

في غربتكَ لن تجد طعماً لشيء، لا الشاي الأحمر سيبقى نفسه، ولا القهوة ستفوح وتملأ أرجاء البيت معلنة عن بدء يوم شهيّ جديد، ولا رائحة الخبز ستبقى هي ذاتها، حتى الزهور ستفقد عبقها، فإن أردت أن تهدي عشيقتك وردة ما، عليك أن تصحبها إلى دمشق، أوروبا يا عزيزي خالية من الورد والمشاعر الجميلة!

هنا تتساقط الأمطار بغزارة لم أرها من قبل ولكن لا تخرج تلك الرائحة التي نعرفها، تلك الرائحة التي تغنيكَ عن باريس وما تحتويه من عطر نفيس، ستفتش عنها كثيراً وستعود خائباً ..

أما الغروب والشروق يصبحان أكثر نمطية وأقل تفاصيلاً، شيء ما يتغير، فلا الدوري سيعود كل يوم ليقف على شرفتك مع شروق الشمس، ولا ديك الجيران سيوقظك على الصلاة، لن تسمع صوت الأذان عند المغرب، ستشتاق لتلك اللحظة كثيراً وتتمنى لو أنك احتفظت بقبس منها.

غريبة هذه الحياة، كل مافيها يفقد لذته ورونقه لكن وحده الألم من يزداد قسوة ومرارة.

****

أعتقد أنَّ الموت قد تدرَّبَ كثيراً على ألعاب الخفة، وإلّا كيف استطاع أن يسلبنا أرواحنا بهذا الشكل المريب!
ربما كان الحب أيضاً يحجزُ مقعداً بجانب الموت، مَن يعلم!.

****

لم أكن أتوقع أنني لقمة سائغة سيلوكها الفراق بسهولة بين أسنانه ثم يبتلعني إلى بطنه الذي يشبه بطن حوت يونس!
لم أكن أتوقع أن شخصاً مثلي بهذا الحجم يمكن أن يسعه فم الفراق دفعة واحدة، لقد كان فراقكِ أصعب مما توقعت وأقوى مما أتحمل، اليوم سأصلي في بطن الفراق، عسى ربي أن ينجيني من العذاب ويلفظني الفراق على شاطئ الأمان، عساه يفعلها فنلتقي!

****

نولد وجيوب كلّ شخصٍ منّا ممتلئة بالحب، نخسر دائماً نحن الذين نطعمُ الجميع ونبقى جوعى.

حورية القصيدة

لا أعلم ماذا أكتبُ في هذه اللحظة، كل ما أعرفه أنني قد جلست برفقة أوراقي، في محاولة غبية مني بوصف ما أشعر!

متى يكتبُ الشخص ؟!
تُرى عندما تبعثره الحياة!، فيعيد جمع نفسه على رقعة من الكلمات!

يقال الإنسان يكتب كثيراً عندما يتأذى، عندما تعلق الكلمات في صدره ويموت بعض منها في حلقه بمحاولة فاشلة منه للبوح.

هنالكَ الكثير من الناس اللذين يؤيدون هذه النظرية، إلا أنا أعارضها، فالإنسان يكتب عندما يعشق، عندما تشتعل نيران العشق داخل قلبه وعندما ترتسم صورة محبوبه في مخيلته طول الوقت.

تماماً هذا مايحدث معي!، كنتِ مصدر الإلهام الأكبر الذي يدفعني للكتابة، كل شامة على عنقك وجسدكِ رصعتها قصيدة، كل نظرة منكِ كتبتُ بها رواية، كل قبلة بيننا كتبتها وتحدثت عنها سنيناً وسنين.

أنتِ وحدك منَ يعلم أنني أكتب من أجلكِ فقط، فكل ما كتبته وما أكتبه وما سأكتبه هو ملك لعينيكِ سيدتي.

أتذكرين أول قصيدة كتبتكِ بها ؟!
كانت مليئة بالركاكة ومليئة بمشاعري وعشقي، بدأتُها باسمكِ وأنهيتها باسمكِ علامة مني أنكِ ستكونين بداية حياتي وختامها، كان ذلك العمل الأهم بحياتي، لقد أخذت مني القصيدة شهوراً حتى أتممتها، فكلما كنا نلتقي أضع كلمة حتى اكتملت وجلستِ على عرشها، مسدلة شعركِ لتموج به الكلمات يميناً وشمالاً فيتبعه قلبي حتى يثمل.

****

ترى إن صرخت بوجه الفراق بأعلى صوتي ... سيهرب من بيننا فنلتقي!

أرضنا عقيمة

_ لو أنَّ للكرامةِ بذوراً لكانت فور سقوطها على الأرض نبتت من جديد.
= حقاً! ..ليتها كانت، فنصيب وطننا العربي عندها سيكون الأكبر.
_ لا أعلم إذاً لمَ الخير ينبتُ كثيراً بتلكَ الأرض ولكن دائماً تبقى سنابله فارغة، أهي أرض عقيمة الخير!

= لا، ولكن هنالكَ من يسرق المحصول من السنابل ويقوم باستغلاله.
تُرى أتعلم أنت لماذا الذل منتشر هناك كالنار في الهشيم ؟!

_ يُقال أنَّ أشجاره كثيرة وتنمو بسرعة كبيرة ويعدُّ وجبةً رئيسيةً في ذاك البلد، توضعُ على المائدة كل يوم.

= لقد ذكرتني بموائدهم، أتعلم ماذا سمعتُ عنها منذ سنين؟.

_ أخبرني !

= إنهم يأكلون وجبتهم من الذل يومياً ولكن يقفُ في حلوقهم كالشوك، لذلكَ يوجد دائماً كؤوس مملوءة بالوجع والفقر.

_ سياسةٌ جميلةٌ تنسيكَ أشواكَ الذل، لكن لِمَ لا يأخذون كأساً من الحرية بجانب العبودية هذه! ربما تكون سياسة أجمل.
= بلى، إنّهم يضعون تلك الكأس على المائدة وحينما يتشجع شخص منهم ويُقدِم على شربها، تُدمي السياطُ ظهره، تسقط الكأسُ وتنكسر عند أول رشفة.

مللتُ البحثَ في المعاجمِ عن معنى الحُسن، حتى تلاقينا .. فكان وجهكِ الحقلَ والمعجمَ.

***

مَن نحن؟!
نحن المجرمون بحق أنفسنا قبل أي شيء آخر، نحن صناع الكوارث ولم نكن ذات يوم صناع الأمل، صناع الظلم والظلام، صناع الكره والحقد، نحن صناع الاستغلال، صناع جوعنا و وجعنا، نحن قوم قد نسي ضميره في رحم أمه وأتى إلى هذا العالم، نحن نصنع قتلتنا وضحايانا، نحن قوم يفضل رائحة الدم على العطر، نحن صناع العنصرية والعبودية، نحن نقول ما لانفعل، ونفعل ما لا نقول، نحن النسخة الأقذر في تاريخ البشرية.
نحن أسوء من سأل نفسه " من نحن؟".

***

لم أجد ما أكتبهُ لكِ، لكن كعادتي كل يوم اشتريتُ لكِ وردة، وصلتُ إلى البيت ولم أعلم أين أذهب بها، لقد امتلأ منزلي بالورود، لذا ما رأيك أن نغافل البعد ونلتقي!

هروب

لعينيكِ
أسير دون هوادةٍ
حاملاً بيدي قلبي
فاقبليه مني قبل أن ينفطر

وأجر عربة خلفي
بها ورودٌ من كل الألوان
وأضع بها قصائدَ
بلهيب العشق ستنفجر

لكن الدرب طويلة
أمشي بها ولا تنتهي
أتعب وأنتهي

أسقط أرضاً
تضيق عليّ الحياة
تضيق طولاً وعرضاً

وعيناك هناك
من آخر الدنيا
تناظر لي
تبكي وتنادي
فأنهض رغم أني أحتضر
خطوة وتبادليني أضعافها
تمتد يدك من فوق العالم
تنتشلني وتسحبني
كل الجبال والوديان
كل العوائق أمامنا تختصر

***

على مائدة الحياة، يمكنني أن أتقبّل طعم الوجع بكافّة أنواعه، إلّا غيابكِ ما يزال علقماً، كلمّا تذوقته أتقيّأ روحي.

****

من الصعب أنّكَ تريدُ البكاء فلا تجدُ دمعةً واحدة تغسلُ بها تعبكَ، تنهضُ من مكانكَ، تصرخُ، تجنُّ، تتلعثمُ، تنكسرُ، تنتهي، تختنقُ، تتغلغلُ الأوجاعُ بقلبكَ فتنام.

****

لا أعلم كم أخفي داخلي من الأحزان، لكن يزداد يقيني أنني كلمّا كبرت أفقد جزءاً من سعادتي، وسأصبح ذات يوم بالوناً مملوءاً بالدموع، تثقبني أسنان الأطفال الصغيرة.

صفعة

في المدرسة الابتدائية، الدرس الخامس والأخير، غاب أستاذ الرياضات عن الدرس لسبب ما فخرجنا نلعب الكرة في ساحة المدرسة، كانت فرحتي كبيرة جداً ولكن سرعان ما ذهبت، توقفت الحياة لعدة دقائق، الجميع بدأ ينظر لي باستغراب وكأنني ارتكبتُ جريمة لا تغتفر، ثم عادت الحياة إلى مجراها عندما صفعني المدير بقوة على وجهي، وبدأ بضربي قائلاً: كيف تجرأت على فعلها، أخبرني كيف؟!

تركني وذهب يضرب رأسه ويذهب يميناً ثم شمالاً طولاً وعرضاً وكأن الحياة ضاقت به، عاد إلي مرة أخرى وصفعني من جديد وقال: اذهب واجلب أباك برفقتك!

وصلت إلى البيت متعباً ومقهوراً وخائفاً، تسللت إلى غرفتي دون أن يراني أحد، لا أريد أمي أن ترى وجهي الملون، ولا أريد أن يسألني أحد ماذا حصل.

تمضي الدقائق وأنا أضع رأسي تحت وسادتي إلى أن رن الهاتف، كان المدير هو من يتصل ليخبر أبي عن فعلة ابنه السوداء، حاولت التنصت على المكالمة من خلف الباب ولكن لم أنجح، أغلق الاتصال، صوت خطوات يقترب من غرفتي، إنه أبي دون شك، لا أعلم لماذا خطر لي أنه سيبدأ بصفعي أيضاً، خبأت وجهي بيدي وركضت إلى زاوية الغرفة، دفع الباب بقوة كبيرة وصرخ باسمي، لم أتجرأ على إخراج وجهي الملون بالكدمات وبدأت أقسم له وأنا أرتعد خوفاً: لم أكن قاصداً يا أبي، لقد ركلتها بالخطأ، لم أقصد، لم أقصد، لم أقصد ...

لكن خاب ظني عندما ركض أبي وضمني وبدأ بالبكاء وبدأ يمسح على شعري ويقول لاعليك يا بني لاعليك.

تركني كي أنام وذهب إلى الخارج، أسكرتني الدموع وسرقني النوم من يد الوجع ساعات عدة، أيقظني أبي في الصباح الباكر وأخبرني أننا سنذهب إلى المدرسة، ترجيته كثيرا لكي لا نذهب وبكيت كثيراً لكن كان ينظر إلي وقلبه المتقطع يظهر بعينيه ويقول: يجب أن تدرس يابني، سيحل كل شيء الآن.

وصلنا المدرسة، طرق أبي باب الإدارة، دخل أبي ودخلت بعده، كان دخان السجائر يملأ المكان، شعرت للوهلة الأولى أني أخطأت العنوان ودخلنا أحد المقاهي بالخطأ، لكن علمت أننا لم نخطئ عندما نظر إليَّ المدير وقال: أنت!، يا عديم الوطنية!
فكرت لدقائق ولم أعرف معنى كلمة وطنية، وكيف لطفل في الصف الأول أن يعلم معناها
طلب مني أبي أن أنتظره بالخارج، نفذت ما قال أبي وخرجت أمام الباب، كان هنالك الكثير من الأطفال ينتظرون بالخارج، كأنهم ينتظرون قرار المحكمة الذي سيصدر بالمجرم المخرب، بعد ساعة كاملة من الانتظار خرج أبي وأخبرني أنه بإمكاني العودة إلى الدوام منذ الآن ، وطلب مني أن أكون حذرا أكثر، ولا أقترف الأخطاء من جديد.

ذهبت إلى مقعدي بينما الأطفال يلعبون خارجاً، ثم رأيت طالباً من الصف السابع يمزق كتاب المادة الإسلامية، ركضت إلى الإدارة وناديت المدير لأخبره بما يجري عساه يغفر لي خطئي.
_ هنالك طالب يمزق كتاب المادة الإسلامية يا أستاذ
-ماذا!، أين هو!، يقول ذلك بصوت مرتفع.

فرحت كثيرا بردة فعله هذه، ركضت بسرعة ودللته على ذلك الطالب، نظر إليه ثم نظر إلي وصفعني بقوة وأخبرني ألا أتدخل بشيء لا يخصني، استغربت كثيراً من تصرفه هذا ولم أجد أي إجابة للأسئلة التي تدق رأسي.

اليوم أبلغ من العمر عشرين عاماً، علمت أنني كنتُ غبياً عندما أخبرته بتلك الحادثة، فكيف لمدير مثله أن يعاقب أحد أبناء المسؤولين، اليوم لا أستغرب لماذا أرى الشبان يسبون الله ولا يتجرأ الشخص ذاته أن يشتم حاكماً، لقد تربينا وتعلمنا في مدارسنا أن الله غفور رحيم ونسينا أنه شديد العقاب، تعلمنا أن الحكومة لا شيء غيرها خط أحمر، اليوم عمري عشرون عاماً وما زلت أجهل معنى كلمة "وطنية"، بلى أعلم معناها كمفردة وككلمة من اللغة العربية، ولكن مازلت أجهلها في قاموس المدير، اليوم أبلغ من العمر عشرون عاماً ومازلت أتذكر وجهي الذي تلون عندما ركلت الكرة وصدمت صورة الرئيس المعلقة عند الباب بالخطأ، فانكسر البرواز وسقطت الصورة على الأرض، إلى اليوم أتذكر وجهي ذاك وأتمنى لو أنه وحده من تلون، فاليوم وجه الوطن نالت منه الصفعات، يبدو أنه مثلي أيضا ركل الكرة بالخطأ، وطننا الآن مميز و وجهه ملون ليس كغيره من الأوطان.

****

هزّتني أمي بقوة تلك الليلة وسألتني عن قلب ابنها المفقود، لم أعرف ماذا سأجيبها، كيف سأشرح لها أنني سُرِقتُ في وضح النهار، كيف سأقول لها أنكِ مددتِ يدكِ داخل صدري وسرقته بخفّةٍ بينما مررت من أمامي تنشرين الضحكات!.

****

خلقتُ بِعَينٍ مَفقوءة
وأُخرى تَرى الأَشياءَ
مشوهة!
كأنني أنظر من نافذة زجاجية
قد وضعها الغبار بين أسنانه
ولِهذا لَم أَرَ أحدّاً سعيداً
طول حياتي !

****

لأني أحبّكِ، كلما أتيت إليّ، ألملمُ أحزاني التي تملأ المكان وأضعها في خزانتي بسرعة وأقفل عليها وأتأكد من هذا جيداً، أنتِ فاتنة الجمال يا عزيزتي، قد يهواكِ الحزن فيتركني ويتشبث بك!.

شجرتنا قُطِعَت

تعالي لأعود بكِ قليلاً إلى قريتنا الصغيرة في هذا النص، لنختصر البعد ونلتقي في شوارع ذكرياتنا الجميلة.

أنا أعلم أنّه كان يوجد الكثير من قطاع الطرق في العصر القديم، عانى الناس كثيراً منهم ولكن أنا أعرف أنهم انقرضوا مذ ابتكرت وسائل النقل الحديثة كالتي نستخدمها الآن، لا أعلم كيف ومن دون سابق إنذار قطعتِ طريقي، وشهرتِ عينيكِ بوجهي، سلبتِ قلبي بنظرة واحدة ومضيتِ.

تماماً هذا ما حدث عندما رأيتكِ أول مرة، سقطتُ في شباككِ التي أدمنتها، وسجنت نفسي بكِ وحررت مشاعري، كنتِ أقوى من إرادتي وكنتُ أضعف من أن أصمد بوجه جاذبيتكِ، لا ذنب لي إنها فيزياء الحب والحسن!

باب المدرسة الذي رأيتكِ عنده قد بان عليَّ كأنه أحد بوابات الجنة، والشمس فجرت صدر الغيوم وبدأت تداعبُ وجنتيكِ الجميلتين، وأنا لم أكن أعلم ماذا سأفعل، أصابني شعور غريب!، توقفت وتجمدت بمكاني، فتحت عينيّ وكأن معجزة تحدث أمامي، كانت دهشتي كبيرة بكِ ومازالت إلى الآن الدهشة القديمة والحديثة!

ثم تعالي لنذهب أكثر داخل القرية، إلى ذلك الشارع الذي كانت أقدامنا تطؤه سوية، ذلك الشارع الذي كان الشاهد الوحيد على أول تشابكٍ لأيدينا، تعالي لنعيد ذلك مرة أخرى حتى لو أننا سنمشي بالذكريات، فأنا أعيش على ذكرياتنا وأعيش الشعور نفسه، أنا رجل ممتلئ بالذكريات!

ثم تلك الشجرة الضخمة التي كنا نتبادل الأحاديث والحكايات تحتها، تلك الشجرة التي تبادلنا تحتها القبل والنظرات والكثير الكثير من الغزل الارتجالي، مهلاً يا عزيزتي لأكن أكثر صراحة معكِ، تلك القصائد التي

أغازلك بها لقد حفظتها ألف مرة وعندما كنت ألتقيكِ أفشل وأنسى كل شيء، حتى تضعين يدك في يدي، يستكين قلبي وأنظر بعينيكِ وأرتجل قصائدي مجدداً من حقل عينيكِ اللوزيتين!

تلك الشجرة التي شاركناها أغلب لحظاتنا الجميلة، ولجأنا إليها في لحظات ضعفنا وتحدثنا لها كأنما يحدث أحدنا الآخر، لقد كان لهذه الشجرة منزل في قصتنا، لكن يحزنني أن أخبركِ هذا، لقد قطعها شخص ما ودفأ أطفاله عليها!

سأفرح كثيراً إن كان محتاجاً ذاك الذي قطعها، على الأقل سيساهم حبنا وحرارته بتدفئة أطفال يأكلهم البرد والجوع! وما أكثرهم في بلدنا.

كما قلتُ لكِ أنا رجل ممتلئ بذكرياتنا، لن تكفيني هذه الورقة لأتكلم لكِ عن أصغر ذكرى لنا، لاشيء يكفي لذكرياتنا، أتعلمين أنني أضحكُ حيناً وأبكي حيناً، أحتضنكِ وأقبلكِ وأفارقكِ وأنتزع بعضي من بعضي، وأكسر قلبي بقلبي، أشتاقكِ في كل لحظة تمضي ولا أعلم ماذا أفعل!
ماذا يفعل المرء إن حاصره الشوق يا عزيزتي؟!

ها أنا لا أكتفي من احتضانك في الذاكرة فأكتبكِ ونتعانق على وسادة قصيدة ليلية، أنسجُ حروفها من جدائل شعركِ!

ها أنا لا أكتفي فأحتضن نفسي بنفسي ،لأنك سابقاً قلتِ لي أننا روح وجسد واحد، ترى ماذا يفعل العاشق حينما يبرحه الشوق ضرباً ويدمي قلبه حنيناً، ماذا يفعل العاشق المقيد خلف قضبان المسافات؟!

لا أعلم ماذا أفعل في هذه اللحظة، ربما سأنام!
وأدع قلبي على الطاولة، أضع رأسي أسفل الوسادة
وأدع النافذة مفتوحة لكي يدخل طيفك الذي يزورني كل يوم، حتماً سيأتي ويأتي ليمسك بقلبي ذاك ويضعه داخل صدري، ثم يحتضنني، وأرفع رأسي من تحت الوسادة وأقبلُ جبينه، أحتضنه وأكمل نومي، هذا ما

يحدث كل ليلة، أعانق طيفكِ على أمل أن يأتي ذالك اليوم الذي أحتضنكِ به ونغلق به تلك النافذة إلى الأبد، ونكتب على باب منزلنا، أيها البعد لا تطرق مجددًا ولا تطأ عتبة الباب، لقد أقسمنا أننا لن نفترق أبداً ولن نضيع لحظة في دهاليز الفراق.

****

تلكَ القنبلة النووية التي سقطَت على هيروشيما أحرقَت كلَّ شيء في المدينة، يُذكَر أنّه بعد كثير من السنين حتى نبتت أول نبتةٍ على وجه تلكَ الأرض!
لا أعلم لستُ متأكداً من هذا ولكنني على يقينٍ تام بأنَّ بعد الذي حدثَ في وطننا لن ينبت الودّ مجدداً في صدور السوريين.

****

كأن تتشابك الأزمنة ببعضها ويفلت القلم من كاتب التاريخ، كأن تصبح الأرض كروية بأربع زوايا، ويختلط القمر بالشمس وصوت الرعد بالهمس، كأن يذبل الياسمين في حيّنا ويهرم الزيتون ثم ينكسر، كأن تمسك النار يد المياه وتسير بها إلى حد لا يفني به أحدهم الآخر، حينها نفترق!

****

وددتُ أن أنسى وأتخلّص من تفاصيل النّاس التي تملأُ ذاكرتي بكثرتها، لملمتُ صفحاتهم وأضرمتُ النارَ بِها
فاحتَرقَ الجميع إلّاكِ
كإبراهيم كانت عليكِ النّارُ برداً وسلاما.

بئس العرب

حكامُ العرب
حاضرٌ معجونٌ بالعهرِ
مستقبلٌ مصابٌ بالجرَب
يقرؤون التاريخ فيتشجعون
"القدس عربية"
قالها ابن سلمان بعدَ الغضَب
دقائقَ وترجىّ
وقبَّل أيادٍ كثيرة
ثم إلى حضنِ مرضعتِه وثَب

أوحقاً صدقتم؟!
أجبانٌ مثله يفعلها!
بل أبى أن يقولها
ونزل إلى عمقِ بئرٍ
ملأً عينيه وفمه نفطاً وذهَب
ثم قال بتلعثمٍ :
مابكُم أخبروني!
مابه ترامب أيريدُ مالاً؟
أيريدُ ما نهبتُ من أرض العرَب

وصل الصوتُ إلى مِصرَ
فاستعاد فرعون العصرِ بعض عقلهِ
بعدَ أن قام من غفوتهِ
نزعَ إصبعه من فمهِ
وقال: ما به ترامب؟!
أخبروني عن ماذا كتَب

ردَّ عليه ابن زايد بغمزةٍ:

نم يا ولدي، نم
أم تريد أن نبدأ العتَب!

أما العراق !
حارَت وانشغلَت وانقسمَت
الفرس من هنا
والأمريكان من هنا
كالكرةِ يركلونها، يا للعجَب

صوتُ الصواريخِ يعلو
الشوارع من الموت لا تخلو
هنا دمشقُ ..هنا بلادُ الجوع
يموت الناس فيها دون سبَب
"الجولان سورية"
يقولها بينما هو جاعلٌ
صدرَ دمشق عارياً مباحاً
كل من يشتهي
يقطفُ من نهديها العنَب
فكان الثأر من الأطفالِ
وأمّا النصر ؟!
فلا نصر هنا
بعد أن باعوا الجولان .. باعوا حلَب
سويسرا الشرق غارقةٌ
بالنفايات حيناً
وحيناً بقلة الأدَب
هذا الحال فلا تبكِ يا أخي
ابصق على الجميع
وقل بئسَ العروبةُ، بئسَ العرب.

****

عندما أبي يطرقُ مسماراً ويقارب على الدخول في الجدار، يضربه أبي ضربة قوية فينكسر ويعيد المحاولة بمسمار آخر وأيضاً ينكسر، واحد تلو الآخر وإلى المئة يشعر بالغضب والملل فيترك عمله ويمضي، أما الفراق لا يشبه أبي بهذا، أحمق يطرق المسامير بقلبي طويلًا دون أن يشعر بالضجر.

****

أشياء كثيرة كانت تحدث داخل صدري، أشواق تدميني وتصفع صدري بقدمها، براكين تنفجر فوهتها من قلبي، زلازل من الألم تدك عظامي، ذكريات تركل دماغي يميناً وشمالاً، طولاً وعرضاً، يتمدد الألم داخلي فأبكي وأبكي وأصرخ من وجعي، تأتي أمي تكفكف ينبوع دمعي وتضمني إليها، وتقول اهدأ يا ولدي، سلام الله عليك، والله ما أنجبتكَ لهذا الوجع وتبكي دماً على ابنها، دقائق يُسكرُني الوجع فأنام..!
إنها لحظات مقتطفة من الفراق الذي أجبرنا عليه، أعلمتِ الآن لماذا أقول لكِ: إنّي على قيدكِ أعيش!.

****

عندما أحببتها ابتسم قلبي من عمق أعماقه وعند اللحظة الأولى من الفراق وقع قلبي على وجهه وانكسرت جلّ أسنانه، ومنذ ذلك الحين لم يبتسم.

الحسن أبلغ من اللغة

لا يمكن أن أصف جمالكِ بقصيدة وقصيدتين أو بنص نثري كبير، فأنا كل يوم أكتب بكِ مئة قصيدة وأمزقها حينما أرى صورتكِ ليس لأنه كلامٌ سيءٌ ولكن يا سيدتي النجم جانب القمر يختفي وهذه هي قصائدي تختفي وتتبخر أمامكِ، أنتِ أنثى من الصعب أن توصف، فلا شيء غيركِ تشبهي، أقف على عتبة اللغة عاجزاً، ينبغي لي أن أحيكَ كلاماً ما قاله ثغر، عليّ أن أصنع كلامًا يصيب شيئاً منكِ لكنني أعجز في النهاية، أتعلمين أنني حينما أكتبكِ أحتار وتختلط علي الأفكار، ترى هل أتغزل بعينيكِ اللتين آخذ من بنهما فنجان قهوتي الذي يعدل لي مزاج القلب!

أم أتغزل بضحكتكِ التي تأسرني كلما ترددت على مسمعي وتمسكُ بقلبي وتشدني إليكِ بقوة أقوى من الجاذبية الأرضية، فإن كان نيوتن قد اكتشفها عن طريق التفاحة التي سقطت على رأسه، أنا اكتشفتُ جاذبية الحب عندما سقطت ضحتكِ كالياسمينة على رأس قلبي، وقيمتها مئة قبلة لكلّ حبل من حبالك الصوتية.

أم أتغزل بشاماتكِ اللواتي يذكرانني بالسفر دائما، فكلما نظرتُ إليهن أشعر بأني كنتُ تائهاً واستدليت بهن كالنجوم حتى وصلتُ إلى وجهتي المرموقة.

أم أتغزل بوجنتكِ!
يا عزيزتي ..الورد رغم هدوئه أرعنٌ فإن رأى وجنتيكِ ثار وتمردَّ، أو أقوم بمحاولة فاشلة مني بالتغزل بشفتيكِ، أفشل كل مرة بهذا، حينما نلتقي انثريني بين يديكِ وأسكريني بقبلة فدنيانا حرم بها الخمر!
كما قلتُ لكِ إنني فاشل بالغزل، أنتِ استثناء في الجمال وقدوة به، فكل القصائد أمام وجهكِ الملائكي لا ترى أبداً، يا سيدة حار اليراع بوصفكِ، لكِ كل الأوصاف انتقي منها ما تشتهين.

****

وقلبي باتَ مثل باب دارنا القديم، نالَ منه الصدأ ببطء، ليتكَ يا أبي طليتَ قلبي هذه المَرّة بدلاً من الباب.

****

نحنُ نأكل لأننا بحاجة للأكل، ونشرب بسبب حاجة أجسامنا للماء، أما الحب فهو خارج عن إرادتنا، كصديقه الفراق لا يخضعان للقوانين.

****

أمي منذ الصغر كتبت لي على دفتري جملة لطالما أحببتها. "أنت وردتي الأحلى،"
أمي نسيت أن تضع نقطة آخر السطر فأكلمها القدر بطريقته ليعانقني منجل البؤس.

عيدنا

تقولُ أمٌ فقدَت كلّ أولادها الذين ابتلعتهم دوامة الحرب: العيدُ هو أن أعود بالزمن، أعود به بعيداً فأصلحُ خطئي الذي اقترفتُه حينما أنجبتُ أطفالاً ليتلذذَ بهم الموت، تُرى هل أحدهم سيسامحني؟!.

شاب وسيم يحاول وضع ربطة العنق الحمراء بيدٍ واحدة، تتعبُ يده ويشعر بالضجر، يشتمُ الحياة ويقول: يا ليت العيد أعاد لي يدي، يا ليته .. ثم ينهال بالبكاء!.

تقول تلكَ الطفلة التي تجدلُ خصل شعرها مجبرةً: العيد هو قبلةٌ من خدِّ أبي الشهيد!، لحظةٌ في حضنه ونظرةٌ من عينيه.
ثم يمشي الوقت على قلبها الصغير ويدوسه، يحلُّ الليل وهي تنتظر والدها عند باب المنزل!، تفقد الأمل ويبلغ اليأس منها، تُخرِجُ من حقيبتها أغلى ما تملك، كل ما جمعت بهذا اليوم!
تذهبُ إلى أمّها تنظرُ بعينيها وتقولُ لها بصوتٍ مكسور: خذي كل هذا يا أمي، خذي كل ما أملك ولكن أعيدي لي أبي، رجاءً!.
هنالكَ عاشق يذبح نفسه بذكرياته مع حبيبته التي سرقها الموت منذ زمن، يتكورّ على نفسه بغرفته الغارقة بالبؤس ويقفل على نفسه، يسدُّ أذنيه، يحاولُ حماية قلبه ولكن الأحزان تحطمه، وتحطّم كل ما بناه النسيان.
هنالك مغترب يشتَمُّ رائحة الوطن من آخر المدى، يغرقه الحنين ويمضغ قطعة من قلبه، هنالك مغترب يقبلُّ صورة أمه ويحتضنها، يقول: حبّذا العيد لو أنه أتى لي ببعض منكِ!.

أما أنا فكلّ أحزان الناس الذين ذكرتهم تقبع في صدري، الحزن عندي هذه الأيام يا سادة أبلغ من أن يكتب بكلماتٍ وأبلغ من أن يحكى، سأغلقُ النافذة بوجه العيد وأعتزل الجميع مع نفسي، فإمّا أقتل حزني أو يقتلني، أو ربما نقتلُ بعضنا البعض.

****

الجميع يخبرني أنني شخص نحيل الجسم، يتهمونني بأنني لا أتغذى جيداً، فأقسمُ لهم بأنني أتغذى أكثر من الجميع، لكن لا يصدقني أحد، لا أحد يصدق أنني ألتهم الكثير من الوجبات بين الحين والآخر، أيكون ذنبي إن كان الحزن خال من البروتين والنشويات!.

****

أعرفُ رجلاً عندما يخرج من منزله عندما تكون السماء ماطرة لا يحمل شمسية، استغربتُ منه كثيراً حتى صادفته ذات يوم مبللاً بالمياه، سألته ما الذي يدفعك لهذا فقال لي: يا بنيّ لاشيء سيقي قلبكَ من التبلل إن كان لك ذكرى مع المطر وإن تبلل قلبكَ، ستنسى ولن تبالي..!.

****

بينما كنتِ منزعجة البارحة من شيء ما وتدفعي بنكدكِ يميناً وشمالاً، لم أجد أجمل منكِ إطلاقًا، لكن عندما فتشت وراجعت كل صور النساء التي أحتفظ بها، وجدت امرأةً تفوقكِ سحراً بجمالها، صدقيني لم أقل لكِ أنك أجمل نجمة تكرمت علينا وعاشت على كوكبنا عن عبث، فلا أحلى منكِ إلاكِ حينما تشعلين قناديل ثغركِ وتبتسمين.

ما لم تقل قارئة الفنجان

سيحاول كثيراً وسيفشل ذلك الشاب بالوصول لطموحه الأسمى ألا وهو مغادرة وطنه البائس!

سيبقى ذلك اللاجئ في غربته أيضاً ويكتب شوقه وينثره في الهواء، سيشتاق ويشتاق ولكن ستخونه أقدامه دائماً، سيشتاق ولكن لن يعود!

سيظل ذلك العاشق ممسكاً بقلبه المكسور عند النافذة ولن يشفق عليه الفراق، سيكويه حد الهلاك!

سينال البرد من قلب تلك الأم التي تنتظر ابنها القابع في أحد السجون، سيرتجف قلبها ويصرخ مع كل سوط على ظهر ولدها الذي قلصه العذاب وأكل ملامحه الجميلة.

سيفتك الجوع بالناس وينخر عظامهم حتى تصبح خاوية، سيأكل الأخ أخاه، والابن أباه، سنأكل بعضنا كالعناكب، سيموت فينا كل يوم هابيل ويولد قابيل جديد.

سيكبر الفساد فينا كشجرة جوز ويختفي العدل كريحانة عطشى، ستصبح الرشاوى أكبر وسيسرق المواطن بشكل أكثر علنية، سيقطع لسان كل من يقول لا للظلم.

ستغتصب الإنسانية في كلِّ لحظة وسيتفشى الذل والقهر، ستشتد السماء ظلمة وستنفجر الأرض زلازل وبراكين.

سيغرق هذا الكوكب في بئر من القذارة ولن يخرج منها حتى نهاية العالم وقيام الساعة.

****

أنا شخص خائن يا سيدتي، البارحةَ خنتكِ سبع مرات، اليوم الذي قبله خنتك بما يقارب المئة، اليوم لا أعرف الكم بالتحديد، لكنني خنتكِ كثيراً، بعد كل ابتسامة كنت تطلقينها بوجهي، كنتُ أخون الابتسامة التي قبلها وأعشق هذه، أنا شخص خائن ولكنني أحبّكِ كثيراً.

****

نعم، هذا البعد صعب جداً، فالذكريات تعاركُني برفقةِ صديقها الحنين كلّ مساء، الثواني تمضي ببطء كأنَّ أحدّهم كسر أقدامها، كلّ شيء في هذه الأيام يبدو متعباً، لكنني لا أحس بالتعب وهذا أكثر ما يتعبني ويخيفني!.

****

ها أنا قد وقفتُ أمام المرآة للتو، قلّبتُ النظرات يميناً وشمالاً، طولاً وعرضاً، قلّبتُ النظرات بحيرة، لم أر شيئاً، لم أر نفسي، حطمتها ومضيت دون أن أعترف بما فعلت الليلة الماضية بي، تعالي يا عزيزتي، تعالي وأعيدي لي ملامحي المسروقة.

دعي الهوى يكسرُ قاربنا
لا خير بعاشقٍ يخشى الغرق.

الحب سبيلنا الوحيد

علاقاتنا العاطفية وردة تتفتح كلما سقيتها الود واللين، فطالما الود موجود دام الربيع ودامت هذه الوردة متفتحةً مبتسمةً سعيدة بما أتاها.

أنا لستُ ممَن يحبون الخصام والبغض وأنتِ على علم تام بهذا يا هبة الله، ما مِن مرةٍ أغضبتكِ منّي وتركتكِ ومضيت، لطالما عدتُ إليكِ وأصلحت كل شيء، ما من مرة حزنتِ بسببي وأفلتُ يدكِ وأشعلتُ سيجارة بكل برود وعدم اكتراث مناظراً لكِ بينما تحترقين، بل لطالما أمسكتُ يدكِ وقبلتها وجعلتكِ تنامين والفرح يعشعش داخل قلبكِ، فأنا لا يمكنني تحمل فكرة أن أراكِ لست سعيدة ولا أتحمل أن تبتعدي عني مهما كان السبب، كل شيء يحل في ساحات القرب يُقضى فلماذا قد نبتعد!

إن غضبتُ منكِ أجيء إلى حضنكِ شاكياً باكياً أشكيكِ إلى نفسكِ، فأنتِ القاضي والمتجني وأنا المجنى عليه أسقط حقي كله بكلمة واحدة منكِ!.
فالوردة التي ذكرناها سابقاً تموت إن تلوث ماؤها بالكتمان وتراكم المشاعر المحتبسة خلف قضبان الكبرياء والكرامة وإلى ما هنالك ..أفرِغ ما بداخلكَ ولا تكترث لعقلكَ الغبي ذاك.

أنا لا أهوى ذلك الكلام القاسي البارد والجاف والتقليدي لدى جميع الناس، لا أحب كسر الخواطر والمشاعر، لذا دائما ما أعاتبكِ بلطف وحب، فأنتِ قطعة من قلبي، أوكيف يقسو القلب على بعضه!
ثم أيضاً تعلمين يا هبة الله أنني حينما نختلف على شيء ما ومهما بلغ حجمه، أعترف لكِ بخطئي وذنبي ولا أدافع عن نفسي بطريقة وأخرى، بل وإنما حين تخطئين أنتِ أدافع عنكِ وأضع لكِ مئة سبب وسبب وألف حجة وحجة، أنا لا أحب المكر والخداع فالاعتراف بالخطأ شجاعة تكفر عما وقع!

لطالما بحت لكِ بأخطائي كلها كي ترشدينني على طريق الصواب الذي يمنعني من تكرار هذا الخطأ، فأنتِ أم هذا القلب، وأنتِ من سيؤدبه حينما يخطئ بحق أمه.

أنا يا عزيزتي شخص يتعاطى الحب والود بدل الكوكائين، أتعاطى البساطة واللين والرفق، أتعاطى حلو الكلام لا علقمه، أنا شخص بسيط بعيد كل البعد عن أي تعقيد ما، ما على لسان قلبي أنطق به، أنا شخص يؤمن أن العشق شيء عظيم وأنّه استراحة الحياة واطمئنان للقلب وسلام للروح ليس بعده سلام.
أنا أحيا على الحب، وحبكِ هذا كنز حياتي يا هبة الله، لذا دعينا نتفق ألا ندع للخصام يد بين أيدينا المتشابكة، لنمضي بعيداً رغم كل شيء رغم كل الحفر التي ستعترض طريقنا، سنمضي وسنصل.!

****

ماذا يفعل عاشقٌ تشتعل به نيران الشوق حتى يغدو رماداً تحمله الريح بين يديها!
أخبرتها الآن .. نعم أخبرتها أنني محتاج لها وأخبرتها أن تأتي لتجمع رمادي وتزرع به قبلةً كي أعود أجمل وأقوى مما كنتُ سابقاً.. أقسمُ أني أخبرتها، فيا ليتها تأتي قبل أن تتعب من حَمليَ الريح!.

****

لعبتي المفضلة منذ الصغر هي الغميضة، قلتُ هذا لحبيبتي ذات مساء، فقالت تعال لنلعب الغميضةَ قليلاً، أنت تختبئ في حضني وأنا أجدك فتعطيني قبلةً لأنني اكتشفتُ مكانك، فقلت مبتسماً: لقد قبلت ولكن إن لم تجديني سأقبلكِ فاحذري يا جميلتي.
وضعَت يدًا على عين دون الأخرى، وجدتني ولم تجدني فاقتسمنا رغيف القبَل مناصفةً.

****

أنا رجلٌ غني يا جميلتي، اليوم مررتُ بطفلٍ صغيرعلى جانب الشارع فطلب منّي مئة ليرة!، ولم أعلم كيف أقول له أنني مثله أحتاج مئة ليرة!، حاولت ألّا أرده خائباً ولكن لم أجد في جيبي شيء، فأعطيته أغلى ما أملك، أعطيته القصيدة التي كتبتها لكِ قبل لقاءنا المنتظر.

ذات غصّة

إنه اليوم الأول من شهر رمضان في الغربة، ولكن لاشيء يدل على ذلك سوى التاريخ، هنالك الكثير من التفاصيل الناقصة والمسروقة، إنه يبدو كصورة بيضاء تماماً لا شيء بها ..

لم أبتعد عن أبي في النهار ولم أدع مسافة أمان بيني وبينه، فأبي حينما يصوم يغضب بسرعة كبيرة، لذا كنتُ دوماً أبتعد عن مناقشته والكلام معه وأؤجل كل شيء إلى مابعد الإفطار.

لم أستيقظ على رائحة الطعام الشهية التي تملأ البيت، ولم أر وجه أمي عندما فتحت عينيّ، لم أقبل يدها ولم تطلب مني أن أقضي لها بعض الواجبات.

لم أر وجهكِ الذي تعودتُه ياحبيبتي، والذي حينما أراه يذهب ظمئي، ويحلو به يومي، لم أغفو على صوتكِ ولم أهمس لك في أذنك كما كنت أفعل وأقول لكِ أنك أحلى بكثير من هذا القمر الذي ينتظره ملايين الناس، لم أبلل قلبي بكِ، إنني الآن أتصحر رويداً رويداً.

لم أسمع صوت الأذان عند كل صلاة، ولم أر مظاهرَ رمضانية في الشوارع، تلك الجموع من الناس التي تخرج قبيل المغرب لتضيع الوقت ولشراء المشروبات وإلى ما هنالك.

لم تغب الشمس كما كانت تغيب، غابت اليوم بشكل باهت ساذج لا طعم له، لم يملأ صوت الأطفال الحي، ولم يطرق بابي طفل صغير يحمل بيده صحناً من الطعام، لم نجتمع على المائدة كما كنا نفعل، ولم تملأ أصوات الملاعق التي تصطدم بالصحون البيت، ما من أحد ألقى ملاحظاته على الطعام.

ما من أحد يجلس على مائدتي اليوم، حولي خمس كراس فارغة يحدقن إليّ كالغربان، وبضع من الصحون الممتلئة بالطعام الذي لا يملك لا طعماً ولا رائحة، سكين تقول لي لاتمسكني وتبدأ طعامك فإن فعلت قتلتك بذكرياتك ودفنتكَ بها، أمسكتُ كأس الماء، وليتُ وجهي عنها وذهبت إلى تختي وانهمرت بالبكاء.

****

عندما كنتُ طفلاً صغيراً وأصبح أبي يعطيني نقوداً لأشتري بها مايحلو لي، لم أكن أهتم لذلك أبداً، كنتُ أضيع كل القطع النقدية التي أحصل عليها، حصالتي فارغة دائماً لاتصدر صوتاً حينما ألعب بها، لم أكن أهتم بالمال لذلك كنت أضع بها كل ضحكات الطفولة، أعلم جيداً أن هذه الحصالة الممتلئة بالضحكات ستلزمني أكثر من النقود عندما أكبر، لكن اليوم أخذت آخر ضحكة متبقية بالحصالة، لا أعلم تُرى هل سأضحك بعد اليوم!.

****

هنالك طفل صغير في حارتنا ليس له أحد، قد أخذت الحرب والديه، وأصيب من بعد ذلك بمرض أنساه عقله، يمشي بالشوارع حافياً بملابس بالية ويدور على المنازل يطلب الطعام، ذات يوم وجدت عشرة أطفال أشقياء يتنمرون عليه ويصفعونه، ركضت إليهم وخلصته من بين أيديهم، نظر إليّ والدموع تتساقط من عينيه واسترد عقله على ما أظن وأكثر ثم قال: الله لن ينسى لكَ هذا أبداً، أخذت أقلب قولته هذه طويلاً وأتعجب كيف استطاع أن يقول هذا الكلام!
إلى أن التقيت بكِ، علمت أنه تحقق ماقال ذلك الطفل، فرزقني الله إياكِ، وإلى الآن في كل يوم أصحو به من نومي أقول مجدداً: ألف قبلة لقدر جمعني بكِ.

****

"مهلاً، أعيدوا توزيع الأدوار من جديد، أريدُ أن أكون أنا!"
قيلَت بعدَ خيبة.

غيرة

صباح الخير يا سيدتي، لتعلمي أولاً ألا خير في صباحي إن لم يبدأ بكِ، ولتعلمي
أني أغار من من كل شيء يسرق لحظات مملوءة بكِ، أغار من جدران غرفتكِ عندما تتلقى نظراتكِ الأولى بينما تفتحين عينيكِ اللتين تغطين بالعسل أثناء النوم.
من هاتفك الذي ستمتد يدك إليه بكسل، ومن شاشته الساذجة التي سترى وجهكِ القمري، من خيوط الشمس التي ستتمرد على القوانين وتخترق الزجاج بقوة ثم ترتمي ضمن عينيك البنيتين.
أغار من قطرات المياه التي ستقبلُّ جسمك شبراً شبراً، من المنشفة التي ستلتقطها يدكِ اليمنى بينما تمسكين بشعرك وتسدلينه على كتفك فيصل إلى خصرك النحيل، أغار من الأرض التي ستطؤها رؤوس أصابعكِ التي تخطين عليها، أغار من ملابسك التي ستحتضن جسمكِ الحريريّ، أغار من المشط الذي سيدخل بين حقل شعرك اللازوردي.
رشفة القهوة الأولى، يجن قلبي غيرة من هذا الفنجان الذي يلثمه ثغرك بدلاً من ثغري، أغار من تلك النسمة الربيعة التي ستنام متعبة على صدرك.
أتعلمين أنني بدأت أغار من الصباح كله، لذا سأقول لكِ مساء الخير لعله يتحسن الأمر، ليس ذنبي إنني أغار من كل شيء يحظى بكِ، إنني غيور وقلبي أرعن لا يهدأ.

****

كانت أمي تدعني أسرف بوضع السكر في الشاي، أحياناً كانت تسمح لي بأكل السكر أيضاً، أمي كانت تصنع لنا فقط الكعك الحلو والحلويات، أمي لا تشرب القهوة ولم تسمح لي بشربها عندما كنتُ صغيراً بحجة أنها ستنبت لي شارب في وقت باكر، أمي فعلت هذا لأنها كانت تعلم أن الأيام الآتية تحمل معها من المرارة مايكفي العالم كله لقرون وقرون.

****

فكرت لاحقاً أنه ماذا لو ذهبت أموال الأغنياء للفقراء، ماذا لو أصبح الناس جميعهم في طبقة واحدة، ماذا لو اختفت الأنانية والطمع، ماذا لو اكتفى مَن يحتاج؟!
أسئلة كثيرة راودتني ولكن عندما تذكرت أنني كنت محتاجاً لوجودك قربي هذا المساء ولم تأتِ فأقلعت عن أفكاري تلك دون عودة.

****

كنتُ أتدرب يومياً على السير على الجدران، حتى أصبحت أركض على جدران المدرسة بسرعة هائلة، وعلى جدران منزلنا بسرعة أكبر، تدربتُ كثيراً وكثيراً ولم أتخيل أن جدران الحياة ضيقة إلى هذا الحد، لقد أوقعتني وكسرت ظهري وكأنني لم أتدرب أبداً.

مشيتُ وحيداً

يقول لي شاب مصريّ: منذ الصغر كنتُ أحلم أن أبلغ الثامنة عشر بسرعة كبيرة، لأكون شخصاً بالغًا يحق لي أن أشاركَ بالإنتخابات، صبرتُ كثيراً حتى تحقق هذا الحلم مع سقوط "حسني مبارك" فشاركتُ بالانتخابات وأدليتُ بصوتي بحرية تامة، لقد كانت فرحتي كبيرة بتحقيق حلمي هذا، وكبرت فرحتي عندما فاز من أعطيته صوتي ولكن سرعان ما تحطم كل شيء بسبب خيانة وانقلاب عاهر، كل شيء تناثر مع الريح، الأيام التي قضيتها حالماً وصبري كله خسرته في ليلة واحدة.

هززتُ رأسي وقلتُ له: دعكَ ياصديقي مما عايشتَ في الصغر، دعكَ من تلكَ الأحلام البريئة، أنا في صغري تعلمتُ أنّ العرب يد واحدة، وكنتُ أصرخ حتى يختفي صوتي وأستمر وأصرخ" أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة".

نعم ياصديقي لقد عَلّموني عندما كنتُ طفلاً أنَّ العرب يدٌ واحدة، وبقيَت هذه الفكرة معتنقة عقلي وعقلي معتنقها، وأيضاً بعدما تعديّتُ مرحلةَ الطفولة وبحثتُ في تاريخنا وفتشته، وجدتُ أننا فعلاً يد واحدة ولكن بألف إصبع وكل إصبع يخالفُ اتجاه الآخر، وفي كل إصبع تجد ملايين الأظافر التي تنهش بعضها البعض.

ماذا تعلمنا في صغرنا؟!

قالوا لنا حرب تشرين التحريرية كبرنا واكتشفنا أنها كانت صفقة تجارية، قالوا لنا لاتقتلوا بعضكم البعض ولكن عندما كبرنا وقلنا لهم "لا" كانوا أول من يقتلنا.

دعكَ من الطفولة تلك ولاتحزن على ما جرى لحلمكَ هذا، فأنا وأنت متشابهان نوعاً ما، أنا حلمتُ أن أبلغ الثامنة عشر وأن أشاركَ بالإنتخابات، وصلت لهذا العمر ونظرتُ حولي ولم أجد الانتخابات، لم أجد سوى الناس التي تموت هنا وهناك، لم أجد سوى الشبّان تقتل كل يوم لأنهم قالوا نريد حلمنا، نريد الانتخابات.

عندما وصل بي قطار الوطن إلى هنا صرختُ للسائق وقلتُ له قف، فأنا أريد تغيير وجهتي، نزلتُ وحيداً في المحطة وهاجرت!.

****

منذ الصباح وأنا أفكّر وأكتب وأعرّف الحب، ساعات مرّت والعرق تصبب منّي، نفدت كلّ الأوراق التي في مكتبتي، وعندما انتهيت، أخذتُ نفساً عميقاً ونظرت، لكن وجدتُ أنني كنتُ أكتبُ حروفُ اسمكِ وأكررها دون أن أنتبه.

****

هذا الصباح لم تقف العصافير على شُرفتي، الشمس تبدو صغيرةً بعيدةً بالكاد تستطيع تدفئة نفسها، صوتُ الريح يحاصر نوافذي، وعتاب كبير بيني وبين ساعي البريد الذي رأيته يمزّق قلبي مع الرسالة متكاسلاً أن يطرق الباب.

****

كلّما ابتعدنا كنتِ تمسكين بنياط قلبي تقطعينها وتمضين في الفراغ تائهةً، ضائعةً جائعةً متفاجئةً من برودة الطقس في الخارج، تحاولين أكل الحنين على رصيف الذكريات فيصفعكِ وأنتِ فتاة رقيقة، في كلّ مرة تعودين باكيةً وأنا شاب ضعيف أمام الدموع فأتحول لمنديل.

أحبّكِ

أنا أحبكِ
ومؤمنٌ بحبنا
مؤمنٌ أننا سننسى البعد
وفراق هذه السنين
أنا أعشقكِ
وكلي شغف لا ينتهي
كوسع السماء وإن ضاق
كالأمواج مجنون
لا يهدأ أبدًا، لا يستكين
أنا أهيمُ بكِ
فأعطني قلبكِ كله
كأنكِ مني
وكأن صدري لك حصن متين
أحبّكِ
وأحب بكِ ما لاتحبينه بنفسكِ
وأعشقكِ تفصيلًا تفصيلاً
من إصبع قدمكِ حتى الجبين
مجنون بكِ ولكنني
طائش ..متهور
فإن أغضبتكِ سامحيني
وافتحي لي ذراعيكِ مسامحةً
وقولي قلبي عليكَ دائماً سيلين
أنا أقدسكِ
فاعلمي أننا سنكون معًا
مهما شوهنا الفراق
سنكون ما تمنينا
رغم أنف الكارهين
سنلتقي ونتوج حبنا

وأهديكِ تاجًا يا ملاكي
من ذهب العشق والياسمين
وأرصع عنقكِ بألف قبلة
وأنام على صدركِ مطمئناً
ياوطناً ليس كباقي الأوطان
لطالما أخذني إليكَ الحنين.

****

منذُ أن كتبتكِ والورقة تتباهى وترفع رأسها عالياً، تمدُّ لسانها بين حينٍ وآخر لتغضبَ ما تبقى من الأوراق، نعم هكذا يا جميلتي فأنتِ النّصف الأحلى!.

****

إن حاصركَ الحب سلّم مفاتيح قلعتكَ واستسلم له، دعه يدخل كلّ الأزقة والسراديب داخلكَ،
فإن سلَّمتَ وأحببتَ ينبغي لكَ أن تحب بكل ما لديك، ينبغي لكَ أن تحب بكامل قواك القلبية، فلا تبخل بمشاعركَ وامنحها حريتها لا قيداً عقلانياً، كُن صادقاً مع الحب، فالحب لايكسر ولا يخذل الصادقين.

****

عندما أحببتكِ اضطررت للسفرعبر الزمن، عدت للماضي حيناً وحيناً سافرت إلى مكانٍ لم تطؤه أقدامي بعد، فأخذتُ من الطفولة صدقها وبراءتها واقتبستُ من المراهقين اندفاعهم وجنونهم واقتطفت من عيون الشباب أملهم وشغفهم اللامتناهي ومن الكبار اقتنيتُ عقلانيتهم، فأحببتكِ بشكل متكامل، بشكل مناسب لايسمح للفراق أن يكتب نهاية قصتنا، لأول مرة في حياتي رسمتُ النهاية قبل أن أبدأ، عندما أحببتكِ ابتسمت لي الدنيا وأعطتني بيتاً في جناح الفرح والسكينة الأبدية.

بوح

مرحباً عزيزتي!
ليس من عادتي أن أكتبَ لكِ بهذا الوقت ولكن هنالكَ شيء ما يثقل صدري وأودّ البوح به، يدي ترتجف كثيراً، لقد كسرت عشرة أكواب من الشاي منذ خمس دقائق، يدي اللعينة، لا لا بل إنّها قواي اللعينة لقد تخلّت عني وبات الضعف يسيطر عليَّ كليّاً من رأسي حتى إصبعي.
دعكِ من هذا، فهذا لاشيء مما يحصل، اليوم مشيتُ على الطريق حافياً، ركضت وركضت ووصلتُ البيت منهكاً، منهك من تلك الشوكة الغبية التي أصابت قلبي بدلاً من قدمي، حاولتُ أن أخرجها بواسطة إبرةٍ كما كانت تفعل أمي ولكن يدي التي ترتجف زادت الموقف سوءاً ولم أنجح بإخراجها، بل ثقبت قلبي حتى أصبح نايًا، يبكي كلما دخلته الريح.
أكتبُ لكِ بينما أرتّب همومي في خزانتي، لاحظتُ الآن أنني رجل غنّي، لديّ هموم من جميع الألوان والتصاميم، أرتّبها وأنا أعلم أنني حينما سأقفل باب الخزانة وأضع رأسي على الوسادة، ستأتي ذكرى ما وتكركب كل شيء رتبته منذ قليل، لكن بسبب الملل الذي يرافقني أحاولُ التسلية لا أكثر.
دعكِ من كل الذي كتبته سابقاً واقرأي عندما تستيقظين آخر كلمة فقط، اقرأيها بقلبكِ لا بعينيكِ الناعستين، أحبّكِ بحجم حزني وأكثر، أحبكِ.

****

أمّي امرأة عظيمة ولاسيما بعيني!
لايكف الألم عن تمزيق قلبها وهي أيضاً لا تكف عن حياكته من جديد كل يوم، ما أخشاه يا رفاق أن تنفد كرة الخيطان التي بحوزتها فيتمزق قلبها ولا تستطيع حياكته من جديد فيبقى ممزقاً.

****

أنا أحبُّ الليل لأنّه يشبهني وأنتِ تحبين النهار لأنّه يشبهكِ، وهكذا كنّا نحافظُ على التناقض بيننا في كلّ شيء تقريباً إلّا في أوقاتِ الضحكِ والبكاء، فكلّما ابتسمتِ أبتسمُ معكِ ونلتقي في النهار خاصتكِ وكلما بكيتِ أحضّرُ دموعي لنلتقي في ليلي الحزين، ولكن منذ مدّة ونحن لم نلتقِ، تُرى ما الذي حصل؟!.

****

منذ أن أخبرَتني بأني كالضوء، كشعلة من النور، أصبحتُ في كل مرة أراها أنطفئ كي لا أحرق جناحا فراشتي، لكنّها فضلت الموت بالحب على الموت متجمدةً وحدها، وهكذا هي احترقت وأنا بعدها انطفأت.

كذبة ممزقة

يا سيّدي
الجوعُ باتَ يأكلنا
من كبيرنا إلى صغيرنا
لم يبقِ على أحدِّ
إنَّ الحال كما ترى
من سيءٍ إلى أسوأ
وإلى أين يا تُرى؟!
أسنعودُ إلى زمن الوأدِ ؟!
وندفن الأطفال أحياء
فلا نكتفي بالبنات فقط
بَل نبدأُ الوأدَ بالولدِ
المركب قد تاه بالبحر
ثم بدأَ بالغرق
رويداً رويداً
نام القبطان وما أفَق
وصلنا القاع وما زلنا
نصرخُ بأعلى صوتنا
هل أحدٌّ يسمعنا
هل من يدِّ ؟!
منذ خلقنا
قيل لنا اصبروا
صبرنا
فقالوا أكثر!
أكثرنا ...
مرّت قرون وقرون
ثم قلنا إلى متى؟!
قالوا: كتِبَ الجوعُ عليكم
فاصبروا عليه إلى الأبدِ!.

ماذا لو!

نحن لا نستغل فرحنا وقربنا بشكل صحيح، في الأمس اتصلت بي أمي والدموع كانت تسيل كنهر جارف من عينيها، فأخذتُ أبكي معها دون أن أعرف السبب، على حسب قناعتي على المرء أن يشاركَ أحباءه كل شيء!
بعد ساعة من الدموع علمت أنها اشتاقت لي كثيرًا واشتاقت نقدي للطعام وتذمري الدائم، فأخذتُ أفكر ملياً، تراني كم ضيعت من فناجين قهوة كان بإمكاني أن أشربها ممسكاً بيديّ أمي، كم من فطور لم أستيقظ عليه، كم من لحظة ضيعت دون أمي!

أنهي الاتصال لأنني ذرفت كل الدموع التي أحملها في حقيبتي!

أتصلُ بكِ يا عزيزتي لتنسيني ما أنا فيه!
لكن أعود للتفكير مرة أخرى، كم من اللقاءات ضيعنا، كم ضيعنا من القبل، وكم أضعنا لحظات كنا سنقضيها بين أيادي بعضنا البعض، كم نظرة سُرِقَت منا، كان بإمكانا أن نفعل الكثير ولكن الآن حلمنا لحظة واحدة يلمس بها أحدنا وجه الآخر دون أن تصطدم يده بشاشات الهواتف الغبية، حلمنا الآن أن نجد نفسنا التي أضعناها دون أن نعلم.

لا تشعري بيوم من الأيام أنكِ حمل ثقيل على قلبي، لا تحاولي القول لي " أني لا أستحقك!".
عندما ينام الشخص على يده طول الليل وعندما يستيقظ يجدها قد شُلّت، تؤلمه بطريقة مزعجة كأن جيشاً من النمل يسري بها.
تعلمين أنني أحملكِ بقلبي منذ رأيتكِ، وأقلبك يميناً وشمالاً، تنامين فيه وأكتم صوت نبضي كي لاتستيقظي، لا تظني أني سأتعب منكِ، والله إني أحملكِ داخل قلبي دهراً كاملًا دون أن أتعب او أضجر، خفيفة على القلب أنت يا آنستي.

****

كلّما كنتُ أشتري لعبةً ما، بكامل قناعتي وقواي العقلية أكسرها بيديّ، ثم في اليوم الثاني أقوم بالتمثيل وبالبكاء أمام أمي كي تشتري لي واحدةً أخرى زاعماً أنّها كُسِرَت بالغلط ولا ذنب لي بما حدث، كنت أظن هذه الطريقة لي وحدي وربما للأطفال فقط لكن الآن أرى الجميع يستخدمها، على سبيل المثال البارحة رأيت أحدهم كسر وطنه وبدأ بالبكاء.

****

كنتِ تعلمينَ منذ البداية بأنَّ حبّي كبير على مقاس قلبكِ، لكنّكِ رغم ذلك قررتِ أن ترتديه، ماذا دهاكِ اليوم حتى مزّقتِه، ليتكِ أودعته خزانة النسيان ومضيتِ بهدوء.

اعتذار

منذ أيام يرنُّ هاتفي بينما كنتُ منهمكاً بكتابة نصٍ غزلي، أمدُّ يدي إليه،
_ "كيف حالكَ يا بني!"، (والحنين ينسج خيوطه على صوتها.)
_ الحمدلله، أشتاقكِ كثيراً يا أماه، كيف حالكِ وأبي!.
_ الحمدلله، ثم هنا يحكم الحنين حصاره عليها، تتابع قائلةً بحسرة:
البيتُ فارغ يا ولدي لا صوت يعلو به!، كلّ شيء باتَ موجعاً، أشربُ قهوتي صباحاً فأتذكر وجهكَ وأراه بفنجاني، فأبكي وأبكي ويكفكفُ أبوكَ دموعي بيديه، نعدُّ الفطور فأنادي باسمكَ لكي تأتي إلى الطعام، قد أعددتُ لكَ "البيض" محروقاً كما تحب، دقائق ثم تعود لي ذاكرتي وتذهب الشهية، لا مذاق هنا لشيء يا بنيّ، نطوي اليوم تلوَ الآخر على أمل اللقاء، تُرى هل سنلتقي؟!.
ثم يشهقُ قلبها بمحاولة منه للإمساك بتلكَ الغصة، لكنّه يفشل، تهربُ تلك الغصّة من صدرها فتبكي، أغلقُ الخط وأمزّق ذاك النّص الغزليّ، أضعُ رأسي تحتَ الوسادة وأنام طريح الحزن، لا أعلم لكنني أدمنتُ الحزن واعتدتُ عليه، كانت أمّي تجرحني دون أن تعلم، حتى تخدّر قلبي من كثرة الجروح، اليوم عاد ذلك السيناريو من جديد، لكن هذه المرة لم تنجح أظافر الحزن بخرمشة قلبي، بل اخترقته، مزقته وأصابت حبيبتي التي كانت تغفو داخلي، آسف يا حبيبتي، إنّ قلبي مثقوب.

****

في دمشق

"في دمشق"
ولِدتُ
كبرتُ
حلمتُ
أقلامي كسرتُ
مزّقتُ الكتبَ
يئستُ
كرهتُ
سئمتُ
أحببتُ
وكان معذّبي الحبَّ
نسيتُ
تناسيتُ
تغافلتُ
من قهري هربتُ
وما استطعتُ الهربَ
ظُلِمتُ
سُرِقتُ
قُتِلتُ
وعندما عاتبتُ
قالوا: ويحكَ ما أتفه السببَ

****

أحيا والأحزان تحيط بي من كلّ جانب، أهرب يميناً أراها تتبعني ثم أنعطف بسرعة البرق شمالاً أراها قد سبقتني.
أتناول كبدي وألوكه بفمي كل ليلةٍ وأخرمش قلبي بأظافري، حزين وكل ما بي متعب.
الله إن أحبَّ عبداً ابتلاه، أنا سعيد لأنك أحببتني، لايمكنني أن أصف فرحتي بحبك لي يا الله، لكنني متعب فأنقذ قلبي المرهق، ساعدني يا الله!، إلهي أتسمعني!
ماهي إلا ليال رزقني الله إياكِ يا حبيبتي، كنتِ هبة الله لقلبي الفقير
.

****

واحتضنتُها اليوم في حلمي ثم قلتُ بغصّةٍ: طالت أحزاني كثيراً يا أمّاه، قلّميها . . .
لقد تعلّمتُ تقليم الأظافر وحدي.

****

وكلُّ هذه الصعوبات والمتاعب التي نواجهها، ما هي إلّا ضريبة النجاح والسعادة المستدامة ..
لابدَّ أنّنا سندركُ في نهاية الطريق أنَّ العقبات هي علامات من الله لننتبه أكثر ولا نحيد عن المسار الصحيح.

كوني معجزةً

تحت ضوء القمر
ظلّي يرافقني
نمشي سوياً
نركض ثم أتعب
فأنتظره، يتعب
و ينتظرني
نعود إلى البيت
نشعل سيجارة
نقتسمها مناصفة
نشرب القهوة
نلعب النرد
فأخسره ويخسرني

لكن عندما أحببتكِ
شعرتُ بالغيرة
فوضعتُ سكيناً
في خاصرته
وتلذذتُ بموته
اليوم أسير دون ظل
تعالي وكوني مني
كوني صوتي
كوني نظري وظلي.

****

ورثة

_ ماذا يحق للشخص أن يأخذ معه إلى القبر يا أبي.

= لا شيء يا بنيّ، فكلّ ما جمعَ في الدنيا سيتركه ويمضي خالِ الوفاض، سينزل بكفن أبيض ليس إلّا.

_ لقد نسجتُ من أحزاني كفناً لي، لكن تلوّن بالحزن فبات أسوداً، يبدو أنني سأمزقه.

= لماذا لم تنسجه من خيوط الفرح؟، ربما سيكون أبيضاً ناصعاً كالثلج!.

_ كنتُ أودّ ذلك يا أبي، لكن الفرح غالٍ في الدنيا، لقد جمعت عدّة خيوط منه ولكن تغذّى عليه دود الخيبة.

= إذاً اذهب إلى البيت، هنالكَ في الخزانة ستجد بعض من خيوط فرحي، انسج منها ما تشاء.

_ لم أعهدكَ تكذبُ عليَّ وتغشّني يا أبي، لم يكن لديكَ سوى الأحزان والقهر، ومنعوكَ أن تصحبها معكَ إلى القبر.

"غداً هكذا سيتحدث الطفل مع أبيه الذي يمكث في القبر."

****

صفقة خاسرة

قطعتان من المغناطيس، أحضرهما أخي هدية لي عندما كنتُ في السادسة من عمري، كانت فرحتي كبيرة بهذه الهدية كثيراً، أرميهما إلى الأعلى ثم أمسكهما، وأعيد الكرّة ألف مرة باليوم بالشغف ذاته، مرت سنوات ومازالت تلك اللعبة ترافقني، أيّ فرح كانت تبث داخلي، كانت تنسج لي وشاحاً من السعادة والتسلية والمرح رغم فكرتها المملة، لاأعلم ما السر بذلك!.

حتى ضاعت تلك اللعبة مني ومع تتالي الأيام كبرتُ كثيراً وأصبح لدي كل الألعاب، لدي كل شيء يريده الإنسان ليمرح ويفرح، لكن الحزن يرافقني أينما وليت وجهي.

اليوم مررت بطفل صغير يجلس على الرصيف أمام منزلهم ويلعب بقطعتيّ المغناطيس، كانت الضحكات تملأ الشارع بكامله، جلستُ جانبه وأخرجت كل ما أحمل من نقود وقلتُ له أتبيعني هذه اللعبة!؟

أشاح وجهه ولم يجبني أبداً، دخل إلى المنزل وأغلق الباب بقوة، وكأن هذا المغناطيس يعمل على جذب السعادة لا الحديد، يا ليته باعني سعادته واشترى حزني، إنني مرهق!.

****

لستُ أفعى

كل شيء يمسكُ بيدي ويصحبني إلى الظلام، لاشيء يدل على وجود ثقب صغير آخر هذا النفق ليدخل منه بعض ذبذبات النور الهاربة!
أمشي وأجرّ أحزاني وخيباتي خلفي، أضربها بعرض الحائط، أحاول التخلص منها لكن لا جدوى من ذلك، كلما ضربتها كانت تتكاثر أكثر!

أستمر واقفاً على قدميّ، أصرخ بأعلى صوتي، طالباً النجدة ..أين أنتِ يا أمّي، يا أبي تعال إليّ
حبيبتي يا منقذتي، صديقي القريب، صديقي البعيد، أيّ أحد، لكن لا أحد يجيبني سوى صدى صوتي المخيف وكأنه يقول لي مت بشظاياك وحيداً..!

كم من الأيام مرّت وأنا على هذا الحال، لقد تعبت من الظلام وتعبَ مني أكثر، تعبنا من بعضنا البعض، لقد تشوهتُ كلياً، نالَ منيّ الألم حتى أصبحتُ كقشة ضعيفة تحركها الريح كيفما تشاء.!

أيّتها الحياة ..قلبي ليس أفعى كي يبدّلَ جلده!،
ألا يكفيه منكِ هذه الندبات ؟!

****

جيران

نحن سبعُ جيران أغنياء جداً ..!
الأول معلم في المدرسة، يستيقظ قبل الديك كل يوم، يشرب فنجان قهوته على عجل ويمضي إلى دوامه الشاق بشغف، يتعب ويتعب طول الشهر وحينما يأتي رأس الشهر، يقبض راتبه ويعطيه للدكاكين التي اشترى منها خلال الشهر، جاري لقد خرّج أطباء ومهندسين وممرضين، خرج أغنياء كثر لكنه مهما فعل سيبقى معلماً بين قوسين وهذا حال المعلم في وطني.
الثاني مزارع، يقضي يومه في الأرض يحرثها ويهتم بها، لكن للأسف ذهب تعبه سدى ولم يحصد منها سوى الخيبات.
الثالث عامل بناء، لم يكن يعلم أنَّ كل عمود سيقوم ببنائه سيخسره بعضاً من عموده الفقري، اليوم جاري يعد من اللافقاريات بعد أن خسر عموده الفقري.
الرابع تاجر، جمع أموالاً كثيرة من أقربائه وبدأ يتاجر بها، ربح أول يوم وربح ثاني يوم، مسكين لقد أغرقته التجارة وخسر كل شيء دفعةً واحدة سينتحر اليوم هرباً من الناس ومن ندمه.
الخامس يكون راعياً، يرعى الأغنام وهمومه وحيداً، فينسى كل شيء ويبتسم ليظهر سنه الذهبي.
السادس يكون غنياً فقط، غني المال، فقير السعادة.
لدي ستة جيران أغنياء!، وجارهم السابع أغنى منهم جميعاً، كل يوم أجمع أحزاني ودموعي وأخبئها تحت وسادتي، جارهم غني، غني بالدموع.

****

موجة ضوئية

كل شخص منّا يشتاق بطريقته، أنا مثلاً عندما يحاصرني الشوق يتمدد قلبي محاولاً الوصول لمن يشتاق لكن فجأة يتقلص على بعضه كدودةٍ داسَ الفراق طرفاً لها.

كل شخص منا يحب بطريقة مختلفة عن الآخر، أنا عندما وقعتُ في الحب، تغيرت ألف درجة حتى لم أعد أعرفني، عندما وقع قلبي بالحب لقد كسرت أقدامه كي لايقف من جديد!.

للحظات الوداع طقوس وعادات خاصة عندي، كأن أمد يدي إلى صدر السماء وأحضر غيمتين كي أبكي بنهم كبير.
للسفر عندي طقس مخلتف عن البقية، أنا لا أشاهد الأشجار والجبال والطرقات من نافذة الباص، بل أقلب صور من أحب صورة صورة، وأقبلها تفصيلاً تفصيلاً، أنا أسافر بذاكرتي.
بالكتابة أختلف أيضاً عن الآخرين، أنا لم أختارها أبداً ولكن شيئاً ما قادني إلى ورقة بيضاء ولصق روحي عليها، أنا لستُ قط بسبعة أرواح، أنا كاتب بأرواح لا تعد ولا تحصى، كلما كتبت أنزف روحاً على هيئة نص.
أنا أختلف بنومي عن الجميع، أضع رجلاً على رجل حيناً وحيناً آخر أرفعهما عالياً وفي بعض الأحيان أكتب نصاً في منامي وعندما أستفيق أنزفه على ورقة!.
أنا لا أرتشف القهوة ولا أشربها ولا أحتسيها لكنني أحب فيروز، أشرب الشاي دون سكر والمتة بالكثير منه.
هكذا أنا وهكذا هو ذوقي ولم أحاول وأجاهد كيف أخالف أحداً، نحن نختلف عن بعضنا البعض بشكل طبيعي، نحن نختلف بكل شيء حتى لو بدا لك الأمر متشابهاً لكن لو دققت بالتفاصيل ستجد اختلافاً، لولا اختلافنا لكنا مثل موجة ضوئية متساوية الأطوال، لون أبيض باهت ليس إلّا.

****

حقيقة مرّة

أخرج من المنزل فألتقي بشخص غريب، فيسألني من أين أنت؟!، لم أعرف ماذا سأجيبه فهربت إلى البيت وأغلقت الباب بقوة، أمسكتُ هاتفي فتحت إحدى مواقع التواصل الاجتماعي، فسألني أيضاً من أين أنت؟!، رميتُ هاتفي وذهبت إلى تختي ونمت هارباً من الإجابة، ثم رأيتُ شخصاً آخر في منامي، اقترب مني وأمسكَ بي وسألني السؤال ذاته، حاولت الهرب لكنني لم أستطع فأجبته:

أنا من وطن يدخل طالب ما ليدرس العلوم السياسة يحمل معه رأيه وحق إبدائه بينه وبين نفسه، فيتخرج دون رأي وحقوق.

أنا من وطن جلّ أطبائه أصبحوا أطباء تلبية لرغبة أهلهم، لذا من كثرة الأطباء تجد مجتمعنا مريض صناعياً وتطوراً وحضارةً أما أجسامهم سليمة.

أنا من وطن، يدرس الكيمياء فيه من لا يعرف رمز الهيدروجين، ويدرس الفيزياء من يجهل قانون السرعة، يدرس اللغة العربية من لا يعرف حروف الجر، ويدرس الرياضيات فيه من لم يحفظ جدول الضرب بعد!.

أنا من وطن المحامون فيه بدل أن يدافعوا عن حقوق الناس يقومون بسرقتهم واستغلالهم، والفساد تجده يتغلغل في مفاصل المحاكم، فقاضي التحقيق تشتريه بخاتم، وتفلت رقبة قاتل بطوق من الذهب.

أنا من وطن يقتلون به المخترع ويسجنون أصحاب الأفكار المبتكرة، ويبقى الأغبياء فقط يبحثون بأشياء قد رماها العالم في القمامة منذ زمن بعيد.

أنا من وطن تربته خصبة، خصبة لدرجة أن الجهل والتخلف ينمو بسرعة الضوء.

في وطني العسكري معدم ويشتم وطنه في كل ثانية، في وطني الضابط أكبر سارق، والسياسي فيه عاهر.

أنا من وطن مجلس الشعب فيه يجب أن يسمى مجلس النهب، وقائد الوطن هو أكبر خائن، وأغلب الشيوخ تراهم ينافقون وينافقون، لذا ترى الشيخ يدعوا للظالم والمظلوم في آن واحد.

أنا من وطن معدل البطالة به زاد عن المئة، لذا تجد كل عام يتوفر عشر وظائف فيتقدم لها مئة ألف شخص ويجرون فحوصات ويدفعون رسوماً وإلى ما هنالك، لكن بالنهاية تكون الوظيفة من نصيب من لديه واسطة قوية.
أنا من وطن يكثر به زواج القاصرات، من وطن تبقى المرأة به تستغل وتتعب وتربي فتظهر عليها التجاعيد من الثلاثين، فيطلقها زوجها ويتزوج أخرى، لذا أكثر المعاملات في وطني هي معاملات الطلاق والزواج.

أنا من وطن يتذكر الناس أحبابهم الموتى فقط في الأعياد، لذلك يوم العيد تجد الناس تبكي بدل أن تفرح، ويتذكرون ربهم فقط في شهر رمضان.

أنا من وطن مازالت الطبقية تحكمه، وأطفاله يعملون بالحدادة أو يحملون السلاح ويخوضون المعارك بدل أن يكونوا في المدارس.

أنا من وطن مناهجه الدراسية محرفة ومشوهة، أنا من وطن أقوال القائد الخالد الكاذبة، القائد الذي يرى بالإجرام حياة أما الرياضة تلك لقد نسبت إليه بالغلط.

أنا من وطنٍ فيه نعيم لمَن لا يستحقه وفيه حزن وقهر وجوع لمَن لايستحقه، عجلة الحياة هناك هكذا دائما تمشي بالعكس.

أنا من وطن غيومه حبلى بالدم بعد أن اغتصبها المجرمون

أنا من وطن لايحتاج شيئاً سوى نيزكاً يمحيه من الخريطة بما فيه ثم ينزل آدم وحواء من جديد، أنا من وطن ينتظر معجزة وللأسف لن تحدث وسيبقى على قيد الانتظار.
استيقظت من نومي ولم أخبره من أين أنا بقولٍ صريح، تراه لم يعرف من أين أنا أم أنه اكتشف الإجابة بنفسه ومضى تاركني خلفه ألملم دموعي المتناثرة على وسادتي وتختي وفي زوايا غرفتي الصغيرة.

****

مخبأ

"_لو أنني أعيد حياتي من بدايتها مرّة أخرى.

= حقاً!، تُرى أعجبكَ كثيراً الذي مررتَ به!

_ لا ولكن أريد أن أخبئ قلبي جيداً، صدري مخبأ مكشوف اكتشفه الفراق بسرعة كبيرة.

= لو تحقق ما أردت!، أين يمكن أن تخبئه؟

_ بالحقيقة لا أعلم، لكن سأسأل أمي!

= لم اخترت أمكَ تحديداً؟، وما أدراها بهذا ؟!

_ أمي ليست كباقي الأمهات، أمي لم تخبئ الحلوى يوماً فوق البرّاد."

****

وعد

اليوم يا عزيزة القلب وبعد مضي أكثر من عام على فراقنا، مهلاً مهلاً لكي لا يحصل سوءاً بالفهم، ما أقصده بفراقنا هي تلك اليد التي بعثرتنا في هذا الكوكب، كنا مثل حجري نرد في يد القدر، حركنا في يده كثيراً ثم رمانا على رقعة الكوكب، فأخذتُ رقم "٦" وأخذتِ أنتِ الرقم "١"، نعم هكذا يبدو البعد بيننا، أنا أحيا في قارة وأنت في قارة أخرى، أيُّ بعدٍ هذا وأي شوق يبقيه في قلبي ..!
أتعلمين يا عزيزتي ما الحب؟
الحب أن تكوني موجودة في باريس وتأخذين صوراً عند ذلك البرج الأبله ولكنكِ تكونين فعلياً عند من تحبين!
تضحكين إذ يضحك، تلمسين جروحه ويلمس جروحكِ ، أن تقفا بوجه كل شيء، تمسكان بأيدي بعضكم البعض وتقولون بصوت عال يجتاح العالم: "نحن اللذين نحب لا بعد يفرقنا.. نحن من يصنع القرب.
الحب يا سيدتي هو الشيء الوحيد القادر على اختصار المسافات، هو الشيء الوحيد القادر على مزج الخريطة ببعضها، الحب هو ذلك الاتصال الروحي الذي يهدم كل شيء يقف بوجهه، هو سلاح يفوق الأسلحة النووية قوة إن استخدمناه كما ينبغي ..
أعدكِ اليوم وفي هذه اللحظة يا "هبة الله " أن يصبح حبنا السلاح الأقوى، السلاح الذي سنغزوا به العالم ونتوج حبنا بنصر عظيم، كوني على ثقة من ذلك!
وكوني على ثقة أنَّ هكذا حب من المستحيل أن يؤثر عليه شيء، هكذا حب أشبه بسفينة نوح ...ستتخطى سفينتنا كل الصعاب ونرسوا على بر لا فراق به،.سننجوا يا سيدتي.

****

أتعلمين أننا حينما نلتقي أنشغل وأنهمكُ كلياً بك، لذا لم ولن تكوني حكراً على عينيّ فقط، بل إنني أراكِ تحتضنين روحي بكلتي يديكِ وأراك تدخلين قلبي دون أن تطرقي الباب.

****

تذكَّر!

تذكر كل يوم عندما تضع رأسكَ على الوسادة أنّ بلادنا مثليّة الجنس لا تنجب الأحلام، لذلك لاتبحر بقارب أحلامكَ وأنتَ تعلم أنك محاط بالصحراء!.

الذين تراهم يضحكون طول الوقت هم الأكثر بؤساً ولكن اعتادوا ظلام حياتهم الدامس.

مَن يبكي على أصغر الأشياء وأدقها سيعيشُ كثيراً، فكل دمعة تسجنها تسرق منك يوماً، وإن كنتَ رجلاً ابك ما استطعت، فالبكاء لا يخص النساء فقط.

استيقظتَ باكراً مع والديك أم بقيت إلى ما بعد المغرب، صدقني لايهم، المهم هو أن تنجز شيئاً عندما تصحو.

الرسائل التي لا يرد عليها هي توابيت من ورق.

تجاهل كل الكلمات التي تقال لك، تجاهل كل محبط ومسيء وسامح الجميع حتى نفسك سامحها عندما تغمضُ عينيك.

دعكَ من كل جرائم الفراق، دعكَ من جرائم الخيانة وقذارتها، الحب شيء عظيم وهذا شيء يجب ألا يختلف عليه شخصان.

مَن صدق مرة سيصدق حتى آخر مرة، ومن خان مرة سيخون حتى آخر مرة، من أحبكَ بقلبه سيبقى يحبكَ حتى النهاية، فحتى الشمس لن تغير طريقها حتى النهاية.

لا تنظر إلى نصف الكأس أكان ممتلئاً أم فارغاً، ارجع متراً للخلف وانظر للكأس كله.

الشيوخ هم الأكثر نفاقاً والعلماء الأكثر جهلاً لذلك سيوقد بهم الجحيم!.

الفقر أول كافر، السياسة أكبر عاهرة، الوطنيات سلعة الكاذبين، القانون لايحمي نفسه من المغفلين، الإنسانية تقدَّس في النهار وتغتصب في الليل.

قصة السلحفاة المجتهدة والأرنب الغبي ألفها الغرب بعد أن ألبسنا دور الأرنب!.

المجتمع الذي يخص الشرف فقط بالأجهزة التناسلية، هو مجتمع فاقد لعذرية عقله الذي اغتصبته الأمراض.

ثم عليك أن تعرف أننا كلّنا غرقى ولكن يختلف بيننا العمق.

****

سأحبّكِ لألف عام

إن شئتِ ارحلي
سأبقى أحبكِ ألف عام كأول لحظة
و أنسج من أحلامي كل يومٍ
وجهًا
ضحكةً
يداً
غضباً
وجنوناً
شيئاً ما منكِ
وأضمكِ بين يديّ وكأنّ شيئًا لم يكن

إن شئتِ ارحلي
لكن لن ترحلي
فليس كل رحيل رحيل
فإن كان الراحل بالوصل بخيل
بالذكريات ليس ببخيل

سأقول: لن ترحلي
فالموعد لم يحن!
سيصفق الحضور
وستقفين حائرةً
بين السؤال واللاسؤال
فكري
من وعودكِ تحرري
ثم قرري
فإن سألتِ

ارحلي
وسأبقى أحبك ألف عام كأول لحظة
وأقول: هي لم ترحل، الفراق لم يحن
سيصفق الحضور مجدداً
سيقولون: لقد حن ثم أنّ، من شدة التذكر جن
سيقولون عني مجنون يا حبيبتي
ولكن هذه المرة ليس بعينيكِ
فليس كل مجنون مجنون.

****

هذا العالم ذئبٌ متوحشٌ يصرخُ جوعاً،
وأنا منذ خلقت ألوّحُ له وأخبره أن ّ قلبي
ليس "ليلى"، لكن أبى أن يسمعني،
أصمَّ أذنيه وقام بالتهامه.

عدي فيصل شبلي

مواليد ١٤ نيسان ٢٠٠١

سوريّ الجنسيّة، من بلاد الزيتون إدلب الخضراء،
مقيم في ألمانيا وأستكمل دراستي هنا، أمشي
ولا شيء معي، أوراقي ما زالت بيضاء على أمل
أن أدوّنَ عليها مجداً ذات يوم.